8

أرشيفو
ARCHIVO

نشـرة تهتم بموضوعات الأرشـيف تصدر عن
مركـــز أوال للدراســـات والتوثيـــق
العدد 8 - كانون الأول/ ديسمبر 2017

أرشيفو

ARCHIVO

نشرة فصلية مختصة بموضوعات الأرشيف تصدر عن

مـركـــز أوال للـــدراســـــات والتوثيـــق

العدد 8 -كانون الثاني/ يناير 2018

نشرة فصلية تصدر عن مركز أوال للدراسات والتوثيق، تحت عنوان (أرشيفو) تعنى بقضايا الأرشيف، تنطلق من البحرين إلى الخليج إلى العالم العربي وخارجه.

تغطي النشرة المجالات التالية: المشكلات التي تواجه الأرشيف، طرق حفظ الأرشيف، التعريف بأصحاب الأرشيف الأهلي ومراكز الأرشيف الرسمي، التعريف بالمدونات والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق والأرشيف، ترجمة المقالات المنشورة بلغات أجنبية، مراجعة الكتب المتعلقة بالأرشيف ومتابعة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالذاكرة والأرشيف.

عنوان النشرة يشير إلى أن كلمة (أرشيف Archives) متقاربة النطق والكتابة والجذر في أغلب لغات العالم، وفي اللغة البرتغالية تنطق هكذا (أرشيفو Arguiv).

رئيس التحرير : د. علي الديري
هيئة التحرير : آلاء هاشم
سكرتيرة التحرير : نور بكري

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

info@awalcentre.com | www.awalcentre.com

awalcentre

الفهرس

1 الافتتاحية 5
الافتتاحية 5

2 أمناء الذاكرة 9
من الأرشيف المحلي إلى العالم: 9
المؤرخ حلاق يكشف عن وثائق تُنشر للمرة الأولى

3 ديوان الذاكرة 17
المركز الوطني للأرشفة والتوثيق: 17
تعرّفوا إلى الأرشيف الأصفر

4 ثقافة أرشيفية 23
دور المشاع الإبداعي في إتاحة المعرفة 23
المستودعات الرقميَّة: منصة لنشر الأبحاث 28

5 وثيقة وحكاية 33
حكاية أحمد بن عباس بين البحرين والقطيف 33

6 ذاكرة الصورة 41
مار مخايل بالأسود والأبيض 41
قصصٌ وحكايا من بيت جدي 46

7 كشكول 51
«حاضر البحرين»: يوميات الأيام الخوالي 51
الزجل.. حافظ تراث اللبنانيين 56

8 متابعات 65

الافتتاحية

مدينة الأرشيف
رئيس التحرير

«لا بدَّ للملك من أن يقوم بأمرين: يصون عظمة مدينته، ويروي قصَّته. كلٌّ من الواجبين متمّم للآخر».

ألبرتو مانغويل، مدينة الكلمات، ص 56.

القصَّة هي التاريخ وهي الأرشيف. المؤرخون تولّوا مهمَّة تشييد مدن ملوكهم بالكلمات، يَسندون إليهم الأعمال الجليلة، ويكتبون على أحجار المدينة أسماءهم، ويروون قصائد الشعراء المحفورة على الصروح التذكارية.

اليوم، لا بدّ للأرشيف من أن يقوم بأمرين: يصون ذاكرة الناس ويروي قصَّتهم؛ يصونها بأن يحفظ حياتهم وذكرياتهم ونضالهم ووقائع ما فعله الملوك بهم، ويروي حكاية وجودهم، وبطولاتهم، وإنجازاتهم، وظلاماتهم، وأفراحهم، وأحزانهم. هكذا يجب على الأرشيف أن يُوجِد ما أعدمه الملوك باستبدادهم ونرجسيّتهم.

الأرشيف ليس «تاريخ الملوك والأمم»، وليس قصصهم، وليس سجلّ حجارة مدنهم، ولا دفتر مراسيم أوامرهم، بل هو تاريخ الناس وقصصهم وسجلاتهم ووجودهم.

لا يريد الملوك أن يقرأوا تاريخًا يجدون فيه أرشيف الأمم، بل يريدون أن يكون التاريخ أرشيفًا لهم، تحضر الأمم فيه كأتباعٍ توافقهم، ورعيَّة تطيعهم وتنتسب إليهم.

يلاحق الملوك الأرشيف الذي لا ينطق بأوامرهم ولا يحكي قصَّتهم العظيمة. لذلك، تُكتب سجلات الأرشيف التي تروي قصصًا مغايرة في الهامش والخفاء والمنفى.

ليس الملوك فقط، ولا الدول الاستبدادية، يفعلون ذلك، فحتى في الأنظمة الديمقراطية تحفظ الدولة ما ينسجم مع سياسة

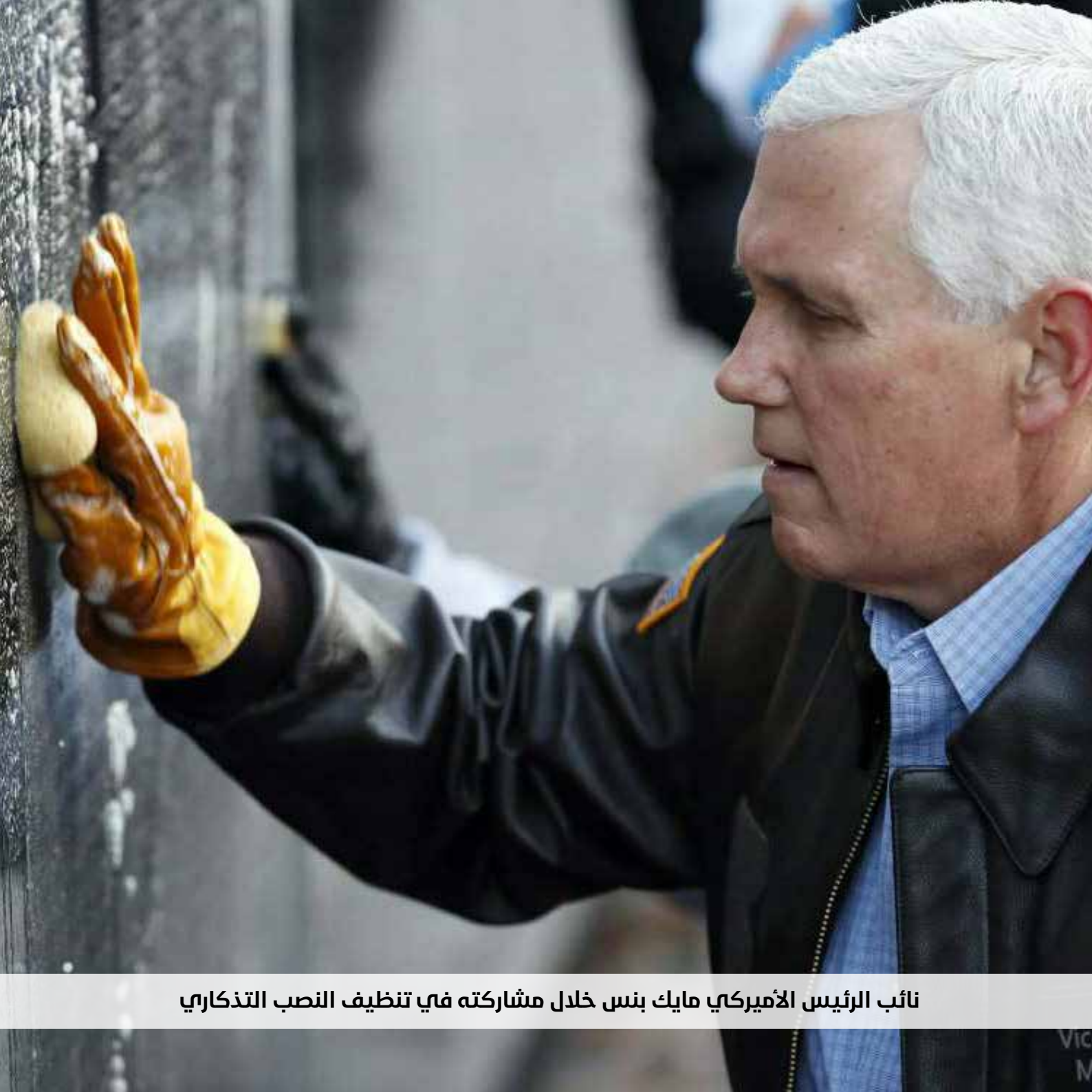

نائب الرئيس الأميركي مايك بنس خلال مشاركته في تنظيف النصب التذكاري

رجل يشير إلى اسمه في النصب التذكاري للجنود الأميركيين المشاركين في حرب فيتنام

حكومتها ويصون قصَّتها، فعلى سبيل المثال، يوجد في العاصمة واشنطن «نصب تذكاري للمحاربين في حرب فيتنام»، مكتوب على جدرانه أسماء أكثر من 58 ألف جندي أميركيّ قُتلوا في حرب فيتنام.

كان نائب الرئيس الأميركي مايك بنس وزوجته في تشرين الثاني/ نوفمبر 2017 قد شاركا عشرات المتطوعين في تنظيف النصب التذكاري. حمل بنس دلو مياه كتب عليه: «فلنفعل ذلك». كان يروي قصة الجنود كأبطال نفَّذوا سياسة حكومتهم، فأوقعوا خسائر بشرية من الفيتناميين تقدّر، خلال ثماني سنوات، بمليوني قتيل، و3 ملايين جريح، وما يناهز 12 مليون لاجئ.

أين موقع هؤلاء الضَّحايا من أرشيف النصب التذكاري؟ هل كتب أحدٌ أسماءهم؟ هل حمل أحدٌ دلو ماء ليبلّل تربتهم أو يزيل الغبار عن قصَّتهم؟

المؤرخ الدكتور حسان حلاق

أمناء الذاكرة

المؤرخ الدكتور حسان حلاق:
من الأرشيف المحلي إلى العالم.. وثائق تاريخيّة تُنشر للمرة الأولى

زينب الطحان

مذ كان ولدًا يافعًا، اعتاد المؤرخ حسّان حلاق أن يحمل دفتره معه أينما ذهب، ليسجّل ملاحظاته ورؤيته لمحيطه وأهله وعادات مجتمعه. يعتقد رئيس الدراسات التاريخية في جامعة بيروت العربية أنّ حبَّ البحث في التاريخ نشأ لديه في تلك المرحلة تحديدًا.

الأرشفة التاريخيَّة رافقت البروفيسور حلاق مذ كان على مقاعد الدراسة. لا يذكر متى اقتنى أوَّل كتاب في حياته، ولكنّه يشير إلى أنّ مكتبته الآن تضمّ ما يفوق ثلاثة الآف كتاب والعشرات من المخطوطات والوثائق. عندما أخذت المكتبة تزحف إلى صالون المنزل، قرَّر أن لا يقتني سوى الكتب المتعلّقة بتخصّصه، ولكنّه يفخر اليوم أنّ مكتبته تحتضن مجموعة مهمَّة من وثائق المحكمة الشرعية في بيروت، ووثائق بريطانية وفرنسية، ووثائق جامعة الدول العربية، ووثائق بعض الصحف اللبنانية، إضافةً إلى بعض وثائق الجامعة الأميركيَّة ومخطوطاتها، وبعض وثائق العلامة محمد جميل بيهو. ويضيف: «مكتبتي ليست ضخمة، ولكنَّها مهمَّة. اشتريت منذ سنوات الكثير من الموسوعات. واليوم، مع وجود الأقراص المدمجة (CD)، أصبحت العمليَّة أسهل».

خصوصيّة البحث التاريخيّ

يرى حلاق أنّ علم التاريخ من العلوم الجليلة، وليس، كما يظنّ البعض، مجرَّد قصص وروايات وحكايا، فهو يمتلك قواعد ومناهج وأدوات علميَّة للوصول إلى الحقائق التاريخيَّة. «مرَّ معنا، في التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر، كتّاب أجانب وعرب تميّزوا بكتاباتهم، في مقابل مؤلّفات لكتّاب آخرين، كانت كلّها مجرد خرافات وأقاصيص»، يقول.

لا يؤمن البروفيسور حلاق بأيّ بحث تاريخيّ لا يميّزه جهد الباحث في إيجاد مخطوطات نادرة وأرشيف مهمل ينبشه من هنا وهناك، فعلم الأرشفة والبحث في المخطوطات والوثائق، لا يعتمد على وثائق منشورة في كتاب أو ملحق وزاري فقط.. ففي رأيه، «عندما نتحدَّث عن التاريخ، أو نريد أن نكتب عن تاريخ دولة ما أو مدينة ما أو حدث ما، ينبغي أن تكون الأدوات تحت تصرّفنا، أو على الأقلّ ينبغي البحث عن الأدوات الَّتي تجعل الدّراسة معمّقة وعلميّة. وفي مقدّمة هذه الأدوات الوثائق والمخطوطات».

كيف نحصل على الوثائق والمخطوطات المتعلّقة بالبحوث التاريخيَّة، إذا أردنا، على سبيل المثال، أن نتعرّض لدراسة عن تاريخ لبنان المعاصر في القرن العشرين؟! يجيب المؤرّخ حلاق: «نرى بعضهم يعتمد على كتب منشورة، باعتبارها مصادر ومراجع، أو على بعض المجلات والصّحف، أو يقوم بمقابلات مع بعض الشخصيات والزعماء الذين عاصروا تلك المرحلة. ولكن لكي نميّز هذه الدراسات والبحوث، ينبغي أن نعتمد على الوثائق غير المنشورة، ذلك أنَّنا إذا اعتمدنا على وثائق منشورة سابقًا فحسب، لن نقدّم أيّ جديد، فالبحث عن وثائق ومخطوطات مغمورة وجديدة هو الَّذي يعطي البحث ميزة خاصَّة ومصداقية عالية».

مصادر الأرشيف والتاريخ

يعدّد الدكتور حلاق أشكال المصادر ومنابعها، مما يعتمد عليه علم الأرشفة والتاريخ. أولًا، هناك الوثائق الأهلية، ففي البيوت اللبنانية الكثير من الوثائق التي يُعتمد عليها، وهي وثائق موجودة من العهد العثماني، ولكنّ الكثيرين لا يدركون أهميتها التاريخيَّة والمعرفيَّة. ثانيًا، هناك مراكز أرشيفيَّة في لبنان بغاية الأهمية، منها المحاكم الشرعية بوثائقها في بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبعلبك وسواها من المدن اللبنانية، فضلًا عن المدن العربيَّة.

لا يقصد حلاق بالمحاكم الشرعية تلك الموجودة في عصرنا الحالي، فقد كانت المحاكم الشرعية خلال الحكم العثماني تهتمّ بكلّ شؤون المجتمع المدنية والقضائية والدينية والعدلية، وهي ليست للمسلمين وحسب، بل تُعنى بشؤون كلّ الطوائف والأجانب أيضًا، وهو ما يقدّم للباحث التاريخي معرفة كبرى حول التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، وحول وجوه كثيرة من أحداث التاريخ التي يمكن الاستفادة منها في بحوث متنوّعة عن بيروت ولبنان، وعن الدولة العثمانية.

من حسن حظِّ الباحثين الجدد، كما يقول حلاق، أنّ وثائق جلسات المحكمة الشرعية ومحاضرها في صيدا أصبحت متوافرة عبر index، ما يسهّل الوصول إليها، وهي أغنى من محكمة بيروت، لأنّ العاصمة قبل العام 1843، أُحرقت بسبب الحروب الأهليّة والأحداث الكثيرة التي شهدتها. أما في صيدا، فهناك وثائق تعود إلى القرن السادس عشر. وبذلك، يكون لدينا 1500-1600 وثيقة، وكذلك الأمر في طرابلس. وفي البقاع، لم تكن المحكمة مركزيَّة، بل كانت محكمة فرعيَّة تعود إلى عهد الاحتلال الفرنسي.

يقول الدكتور حلاق في هذا السّياق: «هذا ما أدركته على الصَّعيد الشخصيّ، فقد كنتُ أوَّل من عمل على وثائق المحكمة الشرعية في بيروت. استفدت منها بشكل كبير، وأصدرت عددًا وفيرًا من الكتب اعتمادًا على وثائق هذه المحكمة، نُشرت للمرة الأولى، ما أعطى بحوثي التاريخية بعدًا علميًا وتاريخيًا في غاية الأهمية. ومن خلالها، تم نشر الكثير من المعلومات التاريخية التي تُعرف للمرة الأولى. وهناك أيضًا وثائق مهمَّة ومخطوطات في البطريركية المارونية والمركز الأرثوذكسي في الأشرفية، حيث يوجد العديد من المخطوطات والوثائق التي تعود إلى العهود العثمانية».

جهود بحثيّة.. وعقبات

لا يُخفي حلاق أنّ الوصول إلى أرشيف هذه المحاكم في لبنان، كان

دونه عقبات، إذ يجب أن يكون الباحث التاريخي معروفًا في طائفته على الأقلّ، كي يُسمح له بالاطّلاع على ذلك الأرشيف. وبذلك، واجه صعوبات من هذا النوع في بعض الأحيان، وخصوصًا مع الوثائق ذات الطابع الطائفي، عندما كانت أبحاثه تتمحور حول تاريخ لبنان في الحقبة العثمانية.

حكمًا، كانت المصادر التي يلجأ إليها متعدّدة، ما دام يبغي التميّز في بحثه. ولذلك، قصد أيضًا المجلس النيابي اللبناني حين كان يدرس تاريخ لبنان في عهد الاحتلال الفرنسي، بغرض الاطلاع على جلساته ومحاضره، فخاض غمار هذا الأرشيف منذ تأسيس اللجان التمثيليَّة التي أصبحت فيما بعد تُعرف بالمجلس النيابي. كان يحصل على وثائق هذا الأرشيف من مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت قبل ذلك، حتى أعاد المجلس نفسه إتاحتها للباحثين، وهو يوجّه طلابه إلى المجلس النيابي مباشرةً في حال كانوا يبحثون في مسألة تتعلّق بتاريخ لبنان المعاصر، ويكشف أنّ في لبنان اليوم كنزًا من الوثائق والمخطوطات لا يدركه الكثيرون، ففي الجامعة الأميركيَّة، هناك عدد وفير من المخطوطات والوثائق البريطانيَّة.

استطاع حلاق الوصول إلى مذكّرات سليم علي سلام، والد الرئيس السابق صائب سلام، الَّذي كتبها عن العهد العثماني، فقام بتحقيقها ونشرتها في كتاب عُرف باسم «مذكرات سليم علي سلام 1868-1938». وما زاده غبطةً أنَّ هذا الكتاب تُرجم إلى اللغة التركيَّة، وجُدّدت طباعته أكثر من خمس مرات حتى الآن، لكونه يعدّ ضمن الدراسات العثمانيَّة، كما أنّ تركيا الحديثة اليوم تهتمّ بمثل هذه الدراسات والترجمات.

حصل المؤرخ حلاق على وثائق تركية تضمّ مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، يكشف فيها حقائق تُروى لأول مرة، وأصدرها في كتاب "موقف الدولة العثمانية من الحركة الصّهيونية"، الذي أُعيد طبعه مرات ومرات.

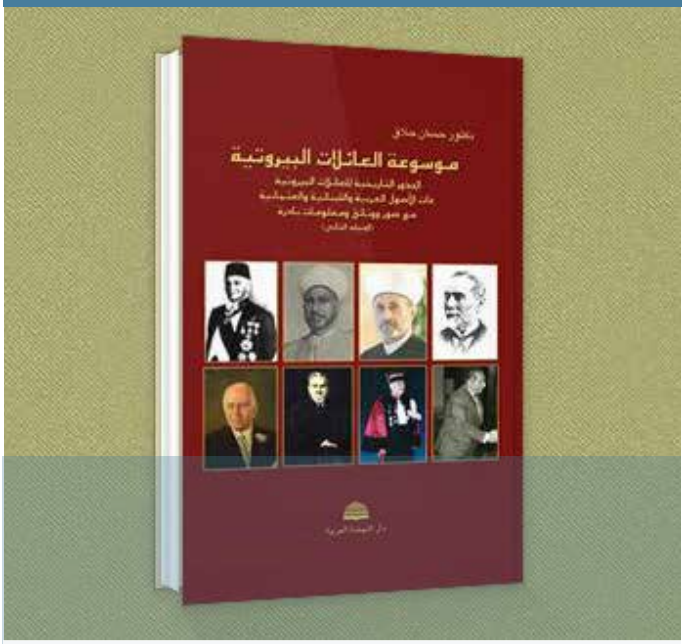

«موسوعة العائلات البيروتية» للمؤرخ حسان حلاق

من الأرشيف المحليّ إلى العالم!

يؤكّد الباحث التاريخيّ أنّ علم الأرشفة في بلد ما لا يقتصر على المصادر التاريخيَّة فيه، فهو علم يسحب صاحبه إلى أصقاع الأرض، للوصول إلى كلّ ما له علاقة ببحثه، فتاريخ لبنان يمكن أن نجده في إسطنبول، فرنسا، إنكلترا، أميركا، وحتى إيطاليا. لذلك، ذهب إلى إنكلترا لمدة سنة، وعمل على وثائق وزارة الخارجية البريطانية المسموح الاطلاع عليها، فاطلع على وثائق عمرها أكثر من ثلاثين سنة. وفي فرنسا، كان عمر الوثائق أربعين سنة، وفي الولايات المتحدة الأميركية، لم تكن هناك ضابطة محدّدة، فهناك وثائق يُكشف عنها بعد سنوات قليلة، وأخرى تمتدّ إلى عقود طويلة حتى تصير متاحة.. كما أنَّ الرئيس الأميركيّ ترامب أفرج مؤخرًا عن أكثر من 6000 وثيقة متعلّقة باغتيال الرئيس كندي.

والمفارقة اللافتة، أنَّ الوثائق في العالم العربي لا يُفرج عنها إلا بعد مرور مئة عام عليها. يقول حلاق في هذا الصَّدد: «حاولت الحصول على وثائق، سواء في لبنان أو دول عربية أخرى، ولكنَّ المعنيين لم يمدّوني بأيٍّ منها. ولكن عندما ذهبت إلى القاهرة وإلى جامعة الدول العربية، استطعت الاستفادة من محاضر جلسات جامعة الدول العربية التي بدأت بالاجتماع في العام 1945، وحصلت على وثائق ومحاضر مهمّة جدًا، إذ لم يسبق لأحد أن عمل عليها. لذلك، عندما كتبت كتاب «التيارات السياسية في لبنان»، كان غنيًا بالوثائق اللبنانيَّة والعربيَّة والبريطانيَّة التي تُنشر للمرة الأولى».

تكاد آليات الأرشفة في كلِّ مركز أو صرح علميّ تتشابه إلى حد ما. ورغم ذلك، هناك بعض الطرق الخاصة التي تصنع التّمايز بينها. ففي وزارة الخارجية في بريطانيا، مثلًا، يجب على كلّ فرد إبراز ما يثبت أنّه طالب أو باحث، ليتمّ تسليمه بطاقة تخوّله الدخول إلى الأرشيف، ويُمنع استعمال الحبر، فيقتصر الأمر على الرصاص فحسب، كما يمنع أخذ أكثر من ثلاثة ملفات. وعلى جهاز الكمبيوتر، يكتب الباحث رقمًا لا اسمًا ليحصل على ملفاته، ومن ثم ينتقي الوثائق التي يريد تصويرها نسخة ورقية أو مايكروفيلم، يشرح حلاق. ويضيف: «عملتُ مدة طويلة، فصوّرت ما يقارب 7000 وثيقة بريطانية استخدمتها في أطروحة الدكتوراه التي حملت عنوان «التيارات السياسية في لبنان في عهد الرئيس بشارة الخوري من 1943-1952».

الشَّخصيات التاريخيَّة: أرشيف حيّ

كذلك، ثمة مصدر مهم في إغناء الأرشفة والتوثيق، يتَّصل بالشخصيات التاريخية العريقة ذات السيرة المؤثرة والفاعلة في مسار أحداث تاريخيَّة. بحث حلاق جديًا عن مثل هذا «الأرشيف الحيّ»، فعثر على وثائق خاصَّة غير منشورة سابقًا، تتعلق بالعلامة السياسي محمد جميل بيهو، الَّذي عاش ما يقارب مئة عام منذ العهد العثماني إلى العام 1978. يقول حلاق: «استطاع هذا الرجل بما تولّى من مناصب مهمَّة أن يكون ثروة وطنيَّة وقوميَّة فيما يختصّ بجمع وثائقه ومراسلاته مع الرؤساء العرب والأجانب. هذه المجلّدات وضعها بين يديّ قبل وفاته، ومن ثم أوصى بها إلى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت».

يؤكّد المؤرخ حلاق أنّ هذه الجمعيات غنيَّة بسجلٍّ من الأرشيف الوثائقي الحافل بالتاريخ التربويّ والتعليميّ والاجتماعيّ الذي استفاد منه ونقّب فيه، ولمّا تكتشف أسراره بعد. وهنا، يأخذنا بالذاكرة إلى مرحلة إعداد رسالته العلمية لبحث الماجستير قبل العام 1975، حين زار المكتبة الظاهرية في دمشق وصوّر بعض المخطوطات التي أفادته، رغم كلفتها الماديَّة، من بينها مخطوطة مهمّة جدًا ما زال يذكر اسمها، وهي «أعظم المآثر السلطانيَّة». كانت تتحدَّث عن مآثر السلطان عبد الحميد الثاني في قيامه بمشروع السكة الحديدية الحجازية، كي يسهل الحج إلى الأراضي المقدسة، وقد ألزم جميع المسلمين بالدفع لأجلها.

كانت هذه المعلومات تشكّل كشفًا مثيرًا، ولكنَّ الكشف الأكثر أهمية تجلّى حين وضع يده على وثائق تركية تضمّ مذكرات هذا السلطان

بالحرف اللاتيني الحديث، يتحدث فيها عن وقائع ويكشف حقائق تُروى لأول مرة، وأصدرها في كتاب «موقف الدولة العثمانية من الحركة الصّهيونية»، الذي أُعيد طبعه مرات ومرات، وتُرجم إلى لغات مختلفة، وخصوصًا بعد أن تمّ الكشف فيه عن حجم الافتراء على هذه الدولة.

من المؤسف، يقول حلاق، أنَّ المؤرخين العرب نقلوا عن الأجانب والمستشرقين من دون تحقيق وتمحيص، فقد ظهر للعيان حقيقة دور اليهود في خلع السّلطان عبد الحميد الثاني، حين رفض الموافقة بشكل حاسم على إعطاء فلسطين للصّهاينة، وبخاصة للصهيوني ثيودور هرتزل، وحتى السّماح لهم بالقدوم على شكل هجرات متالية، رغم أنّهم حاولوا إغراءه بدفع خمسين مليون ليرة ذهبية، فما كان منه أن أجابهم: «هذا الأمر لا يمرّ إلا على جثتي»، وهكذا كان. وما كانت حركة الاتحاد والترقي سوى ذراعٍ قويٍّ لليهود آنذاك، والتي أيّدها العرب جاهلين حقيقتها في بداية الأمر.

الأرشيف البيروتي كنز لمّا ينضب بعد

من هنا، فإنّ علم الأرشفة والمخطوطات والوثائق يغيّر الكثير من وجه التاريخ والقيم والمفاهيم، ويرسم رؤية أكثر وضوحًا للمستقبل، بحسب حلاق. هذا الأمر جعله يتخصَّص أكثر في تاريخ مدينة بيروت أكثر. فعلى صعيد التاريخ السياسيّ، كتب أكثر من كتاب عن لبنان، وكذلك بيروت، معتمدًا في ذلك على وثائق سياسية تغطّي الحركة السياسية التي انطلقت من بيروت وغيرها من المناطق. ولأنّ بيروت هي الثقل في العهد العثماني، وعهد الانتداب الفرنسي، وعهود الاستقلال، فالجمعيات والأحزاب التي وجدت فيها، كان لديها كمّ هائل من الوثائق ومحاضر الجلسات. هذا الأرشيف كلّه نقّب فيه حلاق لتدوين تاريخ بيروت السياسي والتاريخي والاقتصادي.

جمع الدكتور حلاق مئة ألف وثيقة، ولم ينشرها كلّها، وهي لا تزال تحتاج إلى مركز أبحاث، ولكنه نشر عدة كتب تعتمد على هذه الوثائق، وقدَّم معلومات جديدة تنشر للمرة الأولى لم يكن أحد يعرفها. وأيضًا، سلَّط الأضواء على أصول العائلات البيروتية. ويضيف: «عرفت من خلال هذه السجلات أنّ بيت العيتاني، تفرَع منهم بيت بيهو وبيت الحص وأربعون عائلة بيروتية أخرى.. وبيت سنو هم ذاتهم بيت النحاس.. وهكذا، نجد أنَّ كلّ عائلة تفرّع منها عدة

عائلات، وأصبحت عائلة جديدة. هذا كلّه لم نكن نعلمه إلا عندما اطّلعنا على سجلات المحاكم الشرعية في بيروت».

في القرن التاسع عشر، كانت بيروت ما تزال تحمل اسم «البلدة»، وكانت تقع ضمن السور، أي منطقة «وسط البلد» (الداون تاون) اليوم، ضمن سبعة أبواب. وما كان خارج السور يعدّ خارج البلدة، وهو ما يقصد به الضواحي، مثل البسطة والبسطة الفوقا والأشرفية والجميزة.. ولكنَّها راحت تتوسّع، وأخذ السّور يهدم تباعًا. أما هذه التقسيمات الموجودة اليوم، فهي التقسيمات العثمانية ذاتها.

في العام 1888، تحوَّلت بيروت إلى ولاية. وهنا يقول حلاق: «في هذه المرحلة، أصبح البيارتة يفتخرون بولايتهم، ولكنَّ بيروت خلال 700 سنة، في العهدين المملوكي والعثماني، استقطبت الكثير من العائلات من العالم العربي، من المغرب العربي، الحجاز، المدينة المنورة، حلب، حمص، وتركيا.. كلّ هذه الأمور جعلت من بيروت، وحتى من لبنان، مركزًا لتفاعل الشعوب العربية. من يعرف مثلًا أنّ أول رئيس للجمهورية اللبنانية كان من مواليد دمشق في العام 1877، أقصد الرئيس شارل دباس! إنّ اللبنانيين أنفسهم لا يعترفون بذلك».

أنجز البروفيسور حسان حلاق مجلدين عن تاريخ بلدية بيروت، لم يسبق لأحد أن اشتغل بها، كان أحدهما يتضمَّن وثائق وسجلات ومحاضر لبلدية بيروت من العهد العثماني. ينهي حلاق حديثه بهذه الفكرة، مشيرًا إلى أنّ الأرشفة التاريخية والبحث في المخطوطات والوثائق، مسؤولية الباحثين الَّذين يعملون في الجامعات، لتوجيه طلابهم إلى حيث توجد الوثائق المخبوءة بين جدران المؤسَّسات والبيوت والمراكز والصروح الثقافية وغيرها.

زينب الطّحان: أستاذة جامعيّة وكاتبة وصحافيّة لبنانية. تخصّصت في النّقد الأدبي والسّرد الروائيّ، وأعدَّت أطروحة دكتوراه حول الهجرة والهوية في رواية «بدايات» لأمين معلوف. صدر لها كتابان عن الأدب ما بعد الكولونيالي.

للتّواصل عبر الإيميل: riza_zein@hotmail.com

الملحق رقم (١٠)

كوسبا في قضاء الكورة موجهة الى حكومة جبل لبنان بمناسبة وضع مشروع القانون ا
مطالبين بحكومة وطنية لبنانية في ٨ تموز (يوليه) ١٩٢٠(١).

لجانب حكومة جبل لبنان الجليلة

بجلسة تعيين لجنة للاشتراك مع هيئة مجلس ادارتنا لوضع مشروع القانون الاساسي لحكومة جبل لبنان
البعض بث فكرة انشاء حكومة جمهورية في جبل لبنان والشكل الجمهوري كما لا يخفى اول الشكل
التي لا يمكن لبلاد ان تبلغ اليه الا بعد ان تتدرج بالشكل الحكومات الاخرى فالبلاد كما هو معلوم لم تبلغ
الجمهورية .

نائبة قضاء الكورة كما سبق
نحن الموقعين امضا آتنا ادناه اهالي
نظراً الاضطرابات التي تجلبها واجباً
وطنية نيابية لقاء حباً باستتباب الراحة في البلاد
من المجلس النيابي لمدة خمس سنين
رئيس الحكومة منتخباً
سدتها وسندتها على
الجمهورية التي طلبت
حال دولة ذرنا للجمهورية
البلاد واحكامها على انه قد انقضى
الهجر وارادت البلاد

وثيقة تتضمن رسالة موجّهة إلى حكومة جبل لبنان بمناسبة وضع مشروع قانونها – من أرشيف المؤرخ حلاق

افتُتح المركز الوطني للأرشفة والتوثيق في العام 2012 في مدينة النبطية - جنوب لبنان

ديوان الذاكرة

المركز الوطني للأرشفة والتوثيق في لبنان: تعرفوا إلى الأرشيف الأصفر

حسن زراقط

قبل افتتاح المركز الوطني للأرشفة والتوثيق في بلدة النبطية في جنوب لبنان، كانت الفكرة بسيطة. كان المركز يسعى إلى إنجاز عمله في الأرشفة والتوثيق للمعنيين به، ولكنَّه اتخذ منحى آخر، عبَّرت عنه المديرة العامة للمركز كارين إبراهيم عاصي قبل خمس سنوات من اليوم بقولها: «جئنا إلى بلدية النبطية لننظّم أرشيفًا، فأصبح لنا في مدينة النبطية المركز الأول في لبنان للأرشيف، وهو المركز الوطني للأرشفة والتوثيق، وهذا بنتيجة اهتمام رئيس المجلس البلدي لمدينة النبطية وأعضائه بعلم الأرشفة، ورغبته في نقل محفوظات البلدية من أرشيف مُبعثَر إلى أرشيفٍ منظّمٍ وممكنٍ ومصوّر، عبر التصوير المصغّر – الميكروفيلم، لأنَّ المحفوظات مرتبطة بصورة عامّة بالإنسان، فهي نتاجه الذي تركه منذ ظهوره على الأرض وتأقلمه مع الطبيعة، والأثر الباقي لتفاعله مع مقوّمات الحياة منذ الخلق وحتى هذه اللحظة، إلى أن أصبح يعتمد الفكر والمعرفة».

يومها، اعتبرت عاصي أنَّ المحفوظات المرتبة والجميلة ولكن غير المنظّمة ترضي العين ولا تشبع الفكر، وأن تنظيمها لا يعني تأمين مكان خاصّ بها، ولكل نوع منها، في مستودع الحفظ، ليصبح التنظيم أمرًا واقعًا ومؤمنًا. وبذلك، كانت مهمة المركز تنظيم حفظها بشكل سليم، وتأمين الاستفادة منها بشكل سريع، والقدرة على توثيق مواضيعها بشكل دقيق، وذلك من خلال مجموعة من المبادئ والأصول والخبرات التي صنع لها المركز دراسات علمية تحمي تراثًا غاليًا، وتساعد مجتمعًا فعالًا في تنظيم محفوظاته، فأدى دورًا مهمًّا ورئيسيًا في تنظيم المحفوظات والوثائق، يتجلّى «في تحويل كلّ الأصول والعمليات والنُظم المطبّقة على المحفوظات من واقع جامد إلى علم متحرك على الصعيد النظري الفكري، وعلى الصّعيد العمليّ التّطبيقيّ، ووضع أسس لها، تبدأ بفرز المحفوظات وتنظيمها وتنظيفها باعتماد منهجيّة مرتكزة على المبادئ».

واليوم، يعدّ المركز الوطني للأرشفة والتوثيق من بين المراكز القليلة التي تُعنى بالأرشفة وحفظ الوثائق والمخطوطات وترميمها في لبنان. انطلق المركز في العام 2012، واستطاع بعد ثلاث سنوات من تأسيسه أرشفة وترميم ومكننة أكثر من إحدى عشرة بلدية في مختلف القرى اللبنانية، فضلًا عن اتحادَيْ بلديات.

أرشفة خاصَّة بالبلديات

يقع المركز في النبطية - جنوب لبنان، وهو يقوم بتنفيذ مشاريع في جنوب لبنان وبيروت. تقول عاصي إنَّ هذا المركز الأرشيفيّ يعدّ «الوحيد بين نظرائه الذي يتولى القيام بشؤون الأرشفة الورقية والإلكترونية، وإعداد البرامج للإدارات الرسمية والبلديات والقطاعَيْن العام والخاص، وتنظيم المكتبات بتصنيف «ديوي» (DEWEY أو نظام تصنيف المكتبات)، وذلك من خلال فريق عمل متخصّص في هذا المجال، قوامه خريجون من الجامعة اللبنانية، متخصّصون في الأرشفة والتوثيق».

تشير عاصي إلى أنَّ فكرة المركز انطلقت من إيطاليا، وهو يتولّى العمل في البلديات والإدارات الرسمية بغرض الأرشفة الورقية وتنظيم الأرشيف، وذلك يشمل فرز جميع المستندات والوثائق الموجودة لديها، إضافة إلى عنونتها وترقيمها ووضعها في علب خاصة للحفظ خالية من الحموضة و«الأسيد»، وتجهيز غرف الأرشيف مع نسبة الرطوبة اللازمة لها، وتجهيزها بأدوات إطفاء وخزائن خاصَّة بالأرشيف، ثم الانتقال من الأرشيف الورقي إلى الأرشيف الإلكتروني.

وتتابع: «لدينا برامج خاصة بالأرشيف فائقة الجودة بمعلومات وافية جدًا للإدارات والبلديات، فأي معلومة تريد استرجاعها، تستطيع استرجاع ملف «بي دي أف» (PDF أو نسق الوثائق النقّال) الذي يتضمَّنها. وأيضًا، نقوم بتصوير جميع المستندات المهمة في الإدارات الرسمية أو البلديات عبر تصويرها على «ميكروفيلم» (MICROFILM أو التصوير المصغّر)، ونعتمد السرية المطلقة حفاظًا على المستندات».

تخلو السّاحة الأرشيفيَّة في لبنان من مشاريع مشابهة، بحسب عاصي. تشير مديرة المركز إلى توليه أرشفة وثائق بلدية الغبيري في الضاحية الجنوبية لبيروت، وهي إحدى أكبر البلديات الموجودة في لبنان. بعدها توالت الخدمات التي قدّمها، حين طلبت بلدية النبطية - في جنوب لبنان عَمَل أرشيف خاصّ بها.

بعد ذلك، تبلورت الفكرة بشكل أكثر شمولية واتساعًا، فما دامت بعض البلديات والإدارات على اختلافها قد طلبت الأرشفة، فإن ذلك يعني وجود حاجة ملحّة إلى التوثيق والحفظ. من هنا، انطلق المركز لإنجاز جميع أنواع الأرشفة والمكننة، ضمن فريق متخصّص بترميم الوثائق والسجلات، واستطاع حتى العام 2015 أرشفة ومكننة وثائق بعض البلديات ومستنداتها وأرشيفها، إضافةً إلى التعاقد معها سنويًا، لإنجاز كلّ ما يصدر عنها، وهو يعمل مع معظم بلديات الضّاحية الجنوبية لبيروت وبلديات الجنوب، تقول عاصي.

الأرشيف الأصفر!

هل يمتلك المركز نظامًا أرشيفيًا خاصًا به لإنجاز كل هذه الأعمال؟ تجيب عاصي بالإشارة إلى برنامج خاص لتصنيف المكتبات، يحمل اسم «ذا يلو أرشيف» (The Yellow Archive أو الأرشيف الأصفر). صمَّمه مبرمجون عاملون في المركز في العام 2012، فحاز بذلك حصرية امتلاكه. وتضيف: «عرضت علينا بعض الوزارات شراءه فرفضنا، نظرًا إلى جودته وأهميته، ولأننا لم نرد أن يستأثر أحد بالخدمات، فالأسعار التي نقدمها مدروسة جدًا».

أُطلق على البرنامج اسم «الأرشيف الأصفر» لتمييزه فقط، ولتسجيله في وزارة الاقتصاد، تقول عاصي، وهو يمتاز بسهولة استعماله، ويتضمَّن كل المعلومات الموجودة، والتي يمكن أن تُستحدث، كما يمتاز بسهولة عملية الإدخال والبحث فيه، وإمكانية ربطه بالإنترنت، وإجراء عملية البحث خارج مركز الإدارة أو البلدية.

وتبرز أهميته في قدرة الإدارة أو المؤسسة أو البلدية على معرفة من اطلع على الوثائق أو حصل على أي معلومة من دون إذن الجهة المعنية. وقد تمّ عرضه على البلديات ضمن مشروع إعادة تنظيمٍ وأرشفةٍ ورقيةٍ وإلكترونيةٍ للبلديات منذ تاريخ إنشائها، وهو اليوم يستخدم في أكثر من عشرين بلدية على الأراضي اللبنانية.

تولّى المركز تصنيف مكتبة بلدية حارة حريك (في الضاحية الجنوبية لبيروت)، التي تأسّست مؤخرًا، وتحتضن بين رفوفها أكثر من 10 آلاف كتاب. أما بالنسبة إلى البلديات، فتقول عاصي: «يقوم فريق عمل متخصّص بالكشف على حجم الأرشيف ونوعه، ثم ينجز دراسة مفصّلة: كلفة الأرشفة الورقيَّة، اللوازم المكتبيَّة من ملفات ورفوف وعلب للحفظ وتجهيزات للغرفة و«ميكروفيلم»، وكذلك تحديد المدة التي يحتاج إليها فريق العمل لإنجاز المشروع... وفي كلِّ ذلك لم نواجه أية صعوبة. نقوم وحدنا بين المؤسَّسات بكلِّ هذه الأعمال مجتمعة».

لدى المركز الوطني للأرشفة برامج أرشيفية خاصة به. تقول عاصي: «نحن لا نسرق برامج، ولكنَّنا نصنع برامجنا ونجري التعديلات التي تطلبها المؤسَّسات عليها». وتوضح أنَّ المركز أجرى دراسة مفصّلة عن المشاكل التي تواجهها البلديات، «فالمستخدم لديها يريد أسهل طريقة للوصول إلى المعلومة، وقد توصَّلنا إلى طريقة بحيث يتم استرجاع أية معلومة مع ملفّ «بي دي أف» الخاصّ بها».

«اذهب وفتِّش» تجاوزناها، تؤكد عاصي. وتشرح: «أجرينا اختبارًا في إحدى البلديات في حال كان هناك عطل في الحواسيب أو البرامج، ووضعنا فهرسًا يدويًا لكلِّ معاملة. عندها، يطّلع الموظّف على عنوانها ورقمها ويسترجعها في دقيقتين كحدٍّ أقصى، والبرنامج

انطلق المركز لإنجاز جميع أنواع الأرشفة والمكننة، ضمن فريق متخصّص بترميم الوثائق والسجلات، واستطاع حتى العام 2015 مكننة وثائق العديد من البلديات ومستنداتها وأرشيفها.

شعار المركز الوطني للأرشفة والتوثيق

فريق عمل المركز خلال أرشفة وثائق بلدية الغازية - جنوب لبنان

محفوظات بلدية العباسية في جنوب لبنان بعد الأرشفة

يشمل نظام الإعارة للمستخدمين وكلّ التفاصيل المتعلقة به، كما يتقبّل كلّ شيء، كالفيديو والصور التي يسهل استرجاعها».

وهناك ميزة تلفت عاصي الانتباه إليها، ألا وهي «ربط برنامج المكتبة بالهاتف الجوال الخاصّ بالمستخدم (عبر الإنترنت)، ليدخل إليه ويبحث عما يريده. وحاليًا، نعمل على تحويل المكتبة من مكتبة ورقيّة إلى إلكترونيّة».

انفتاح على الأرشيف الخارجيّ

هل يقوم المركز بشراء أرشيف خاصّ به؟ تجيب عاصي: «المركز لديه ترخيص، وهو يشتري الوثائق والمخطوطات ويبيعها. نتولى مشاريعًا خارج لبنان، وتلقينا عروضًا مختلفة للعمل في العراق. نحن نصعد في مجال عملنا درجة درجة، كي لا نرتفع بسرعة ثم نهبط، وما زلنا في مرحلة التأسيس. وخلال السنوات الماضية، لم تُوجَّه إلينا أيّ ملاحظة، ولم نتأخّر عن خدمة البلديات».

تعزو عاصي سبب نجاح المركز إلى «انفتاحه على المكتبات العالمية، فلا نكتفي بما نملكه من معلومات، بل نبحث عن التطور في علم الأرشفة والتقنيات الجديدة فيه». وعندما تقارن بين الخدمات الأرشيفيّة التي يتولاها المركز وما قدمته إحدى المؤسَّسات في لبنان، هي «مؤسَّسة الأحوال الشخصية الفلسطينية»، تبدي مديرة المركز سرورها بالإنجاز، حيث «التزمت تصوير «ميكروفيلم»، وكان على تلك المؤسسة أن ترمّم 39 سجلًا فلسطينيًا، لكنها لم تستطع، فلجأت إلينا لترميمها».

نستفسر من عاصي عما إذا كان المركز قد واجه صعوبات في ميدانه، فتوضح قائلةً: «بعض المؤسَّسات تتفاجأ بنظم الأرشفة الحديثة والسهلة الاستخدام التي نتولى إنجازها. نحن نؤرشف للشخص المعنيّ بلديته ونُمَكِّنُها له، وهو يتفاجأ بوجود مؤسسة معنية بهذا الشأن ومتخصصة فيه»، ولكنها تتحدث في الوقت نفسه عن «تقصير» إعلامي من المركز بالترويج لنفسه، ثم تستدرك بالقول: «أُفضِّل ألا أدفع ثمن الإعلانات على اللوائح في الطرقات، وأن أحسمه من الثمن الذي ستدفعه البلديات لنا.

جزء من وثائق بلدية الغازية ومستنداتها قبل الترميم والأرشفة

بدلًا من أن نحمّلها أعباء هذه الإعلانات، فَضَّلنا أن نزور البلديات أسبوعيًا ونعرض عليها فكرتنا، ثم نحدّد موعدًا مع المجلس البلدي، ونقدّم عرضًا عن البرنامج، ونعطي دراسة عن الكلفة».

ترقيم للشوارع والبنى التحتية

من إنجازات المركز أيضًا والخدمات التي يفيد المجتمع بها، مساعدة الطلاب في أبحاثهم من دون ثمن مادي، وتوجيههم إلى المكان الصحيح، «من خلال معارفنا واتصالاتنا»، تقول عاصي. وتتابع: «لدينا فريق عمل ينظم الملفات ورقيًا ويؤرشفها، ثم يأتي دور فريق المكننة، ففريق التصوير المصغر لـ«مايكروفيلم». بعدها، يعمل فريق على الكشف عن كلّ الأعمال قبل أن نسلّم البلدية ما أنجزناه. في بعض المرات، قدمنا برنامجيًا أرشيفيًا ثمنه ثلاثة ملايين ليرة مجانًا إلى بلدية لا تقدر على شرائه. كما أننا ندرّب العاملين في البلديات على تصنيف المعلومات وعلى عمليات الأرشفة والمكننة والتوثيق».

مشروع جديد التزمه مركز الأرشفة وأخذ وكالته في جنوب لبنان، هو ترقيم الشّوارع والبنية التحتية. تمّ عرض هذا البرنامج على البلديات المعنيّة، ولكنَّها ما زالت تقوم بدراسته. المشكلة الأساسية فيه هي الكلفة العالية لإنجازه، وعدم قدرة البلديات على تحمّلها، علمًا أنّ المشروع قيد البحث مع المراجع المختصَّة. كذلك، واجهنا مشكلة فيه، تضيف عاصي، تتعلّق بالشق الأمني، لترقيم الأبنية والحصول على أسماء أصحابها وغيرها من المعلومات.

كذلك، «تعاونَّا مع المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، ورمّمْنا الوصايا والوثائق في مؤسَّسة حفظ آثار الشهداء. وقد تمت معالجتها بحسب الأصول المتبعة، من خلال ترميمها وحفظها في ملفات خالية من الحموضة، وتأمين أماكن مخصصة لها بحسب المعايير المتبعة عالميًا»، تختم عاصي.

حسن زراقط: صحافي لبناني، حاز إجازة في اختصاص الصّحافة، ثمّ نال منحة «إراسموس موندوس» لمتابعة الماجستير في اختصاص العلاقات العامة في بولندا. عمل في عدد من المواقع الإخباريّة.

للتواصل عبر الإيميل: hasan.zaraket@gmail.com

مؤسّس المشاع الإبداعي مارتين فون هالر غرونبيكز

ثقافة أرشيفية

دور المشاع الإبداعي في إتاحة المعرفة

غادة دمشق

لا تزال قضايا النشر في شبكة الإنترنت من أكبر التحديات التي تواجه العاملين في مجال حماية الملكية الفكرية في عصرنا الحالي. يجمع هؤلاء على أنَّ المعلومات والمعرفة ملك للجميع، ويجب أن تكون متاحةً لكلِّ المستفيدين، بهدف تطوير المجتمع وتنميته فكريًا وثقافيًا، ولكن هذه الحقيقة تصطدم بعقبة أساسية تتمثل بالملكية الفكرية، فحماية الإنتاج الفكري في الشبكة يواجه عقبات كثيرة تتأتى من صعوبة تحديد الموضوعات المنشورة وتوثيقها، فضلًا عن حمايتها، لأنّ تكنولوجيا المعلومات وفَّرت إمكانياتٍ هائلة للنسخ والإرسال والتعديل.

هذه الإشكاليَّة تفتح آفاقًا على عدة تساؤلات، فهل يجب تحرير التراث وإطلاق العنان لإبداع المستفيد وابتكاراته والتغاضي عن حقوق المؤلفين، أم علينا التقيد بالملكية الفكرية والحد من إبداع المجتمع وتطوره؟ وهل سيستطيع أصحاب الملكية الفكرية الصمود بوجه الإنترنت، وخصوصًا أنَّ المؤلف يفقد السيطرة على المعلومات بمجرّد طرحها في الشبكة؟ وهل يمكن فعلًا إيجاد حلّ يقضي بإتاحة المعرفة وحماية المؤلف في آنٍ؟ وما هو دور مؤسَّسات ذاكرة الوطن، من مكتبات ومؤسَّسات أرشيفية ومتاحف، في حماية الملكية الفكريَّة، وفي الوقت نفسه، العمل على إتاحة المعلومات للمستفيد؟

يتّجه العالم اليوم بشكل جديّ إلى تشريع قوانين تلائم الطبيعة الخاصة بالإنتاج المعرفي، أبرزها حماية الملكية الفكرية، وهي واحدة من أهم المهمات التي تسعى منظمة التجارة العالمية إلى تحقيقها وتعميمها. طبعًا، هذا الأمر ليس سهلًا، كما أنه لم يعد كافيًا نتيجة للتحدّيات التي طرحتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كما أنَّ الملكية الفكرية واحتكار الدول المتقدمة للمعرفة، بحسب بعض الباحثين، سيساهم في اتساع الهوة الرقمية والمعرفية بين العالم المتقدِّم والعالم النامي.

أحد الحلول التي طُرحت لإرضاء أصحاب الملكية الفكرية من جهة، وإتاحة المعرفة للمستفيدين من جهة أخرى، كان «المشاع الإبداعي» (Creative Common)، وهو منظّمة غير ربحية مقرّها في مدينة سان فرنسيسكو الأميركية، قدَّمت بديلًا لمفهوم حقوق النشر، وأصدرت رخصًا للملكية الفكرية تعرف باسم «رخص المشاع الإبداعي».

من هنا، وبحسب المنظَّمة، جاءت رخص المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر وأدواتها لتحقّق توازنًا في النموذج التقليدي (كلّ الحقوق محفوظة)، الذي أنشأه قانون حقوق التأليف والنشر. هذه الرخص تمنح الجميع، بدءًا من الأفراد، مرورًا بالشركات الكبيرة، وصولًا إلى المؤسَّسات، أدوات بسيطة ونموذجية لتحديد صلاحيات حقوق التأليف والنشر في أعمالهم الإبداعيَّة.

ترى المنظّمة أنّ الدمج بين هذه الأدوات والمستخدمين يؤدي إلى تزايد المشاع الرقمي وانتشاره، وهو عبارة عن تجمّع للمحتوى يمكن نسخه، وإعادة توزيعه، وتعديله، وتغييره... كلّ ذلك في نطاق قانون حقوق التأليف والنشر.

هكذا، تساعد هذه الرخص على إدراج المصنّفات ضمن «الملك العام»، وتحدّد الحقوق التي تنازل عنها المؤلف لصالح المستفيد. وبحسب المنظَّمة، فإن الرخص تتألف من أربعة عناصر هي: النسبة، غير التجاري، منع الاشتقاق للعمل، الترخيص بالمثل.

- النسبة: يتطلَّب هذا الشرط ذكر اسم صاحب المصنّف، وعنوان المصنّف، وتفاصيل المصدر المعقول ذكره (رمز: BY).
- غير التجاري: يتطلَّب عدم استخدام المصنف لأغراض ربحيَّة (رمز: NC).
- منع الاشتقاق للعمل: يتطلَّب عدم تعديل المصنّف أو استخدامه ضمن أيِّ مصنف آخر ينتج منه مصنّف محوّر (رمز: ND).
- الترخيص بالمثل: يتطلَّب مشاركة المصنف، أو أيّ مصنف آخر استعمل به المصنف المرخّص، بالشروط نفسها التي رخّص بها المصنّف الأصلي (اختصار: SA).

ومن خلال هذه العناصر، يكون لدينا ستة خيارات من الرخص:

1. النسبة (CC BY): تتيح للآخرين حرية إعادة التوزيع، التعديل، التغيير، والاشتقاق من العمل، سواء كان ذلك لأغراض تجارية أو غير تجارية، ما داموا ينسبون العمل الأصلي إلى صاحبه.
2. النسبة - الترخيص بالمثل (CC BY-SA): تتيح هذه الرخصة للآخرين حريَّة إعادة التوزيع، التعديل، التغيير، والاشتقاق من العمل، سواء كان ذلك لأغراض تجارية أو غير تجارية، ما داموا ينسبون العمل الأصلي إلى صاحبه، وهم يرخّصون أعمالهم المشتقّة وفق الشّروط نفسها.
3. بلا اشتقاق (CC BY-ND): تسمح هذه الرّخصة بإعادة التوزيع والاستخدام التجاري وغير التجاري، بشرط عدم التعديل ونَسب العمل إلى المؤلف.
4. غير التجاري (CC BY-NC): تتيح هذه الرّخصة للآخرين حرية إعادة التوزيع، التعديل، التغيير، والاشتقاق من عمل المؤلف لأغراض غير تجارية. وبالرغم من أنّ الأعمال المشتقّة يجب أن تنسب العمل الأصلي إلى المؤلف، وأن تكون غير تجارية، فإنه لا يلزم ترخيصها بالشروط نفسها.
5. غير التجاري - الترخيص بالمثل (CC BY-NC-SA): تتيح هذه الرخصة للآخرين التعديل والتحسين وبناء نسخ مشتقة من المصنَّف، ولكن لأغراض غير تجارية، بشرط نَسب العمل الأصلي إلى المؤلف، وترخيص الأعمال الجديدة بالرخصة نفسها.

6. غير التجاري - بلا اشتقاق (CC BY-NC-ND): هذه الرخصة هي الأكثر قيودًا، إذ تتيح للآخرين تحميل أعمال المؤلف ومشاركتها مع الآخرين فقط، بشرط نَسب العمل الأصلي إلى المؤلف، ومن دون القيام بأي تعديل أو استخدام العمل لأغراض تجاريَّة.

ولكن ما هي علاقة المشاع الإبداعي بمؤسَّسات ذاكرة الوطن؟

يشرح مؤسّس المشاع الإبداعي مارتين فون هالر غرونبيكز (Groenbaeks Martin von Haller) هذه الفكرة بالإشارة إلى أنَّ قيمة الثقافة تقاس بعدد الأشخاص الَّذين يستفيدون منها. وفي رأيه، إنَّ مؤسَّسات ذاكرة الوطن تستهدف امتلاك أكبر كمية من المعرفة، وإتاحتها لأكبر عدد من المستفيدين، بهدف نشر أكبر كمٍّ منها، فالثقافة شيء حيّ، وهي تصبح أكثر حيويَّة عندما يتشاركها أفراد المجتمع.

كما أنّ مؤسَّسات ذاكرة الوطن لا تهدف إلى تسليط الضَّوء على الماضي فحسب، إنما تتطلَّع إلى المستقبل أيضًا، من خلال تحديد الأساسيات التي تستند عليها، من ثقافة وديمقراطية واقتصاد، لكلِّ نواحي المجتمع، فضلًا عن ماضينا وحاضرنا، يشرح غرونبيكز.

إذًا، على كلِّ هذه المؤسَّسات أن تنفتح على مفهوم أساسيّ، يتمثّل في تأمين طرق إتاحة مصادر المؤسَّسة للمستفيدين بأسهل الطرق وأسرعها. وفي الوقت نفسه، ينبغي أن تسعى إلى ضمان مشاركة المحتوى المتاح بحرية، وإغنائه من قبل المستفيدين، ومعالجته إذا استدعى الأمر، سواء كانوا مواطنين أو طلابًا أو علماء أو باحثين.

إنَّ المحتوى الَّذي تتمّ رقمنته هو محتوى متاح بطبيعة الحال

رخصة المشاع الإبداعيّ ساعدت على جعل العالم منفتحًا على بعضه البعض، من خلال جعل كلّ شيء مرئيًا أمام الآخرين.

تراخيص المشاع الإبداعي

شعار المشاع الإبداعي

للمستفيدين الذين يستطيعون الوصول إليه من خلال الشبكة. كما أنّ عملية الرقمنة والإنترنت ساعدا مؤسسات ذاكرة الوطن على تأمين الوصول إلى أكبر عدد من المصادر الموثوقة وإتاحتها لأكبر عدد من المستفيدين في أيّ مكان وأيّ زمانٍ.

ورغم ذلك، يبقى السؤال هنا: لماذا لا تقوم المؤسَّسات باغتنام الفرص في فتح الكنوز الرقمية الدفينة وجعلها متاحة للجميع؟

هذا الأمر يعود إلى أسبابٍ عدة، هي في معظمها أسباب ضعيفة، بحسب فون هالر غرونبيكز. إنّ معظم المحتويات لها ملكية فكرية وحقوق نشر. ومن الناحية القانونيَّة، لا يحقّ لهذه المؤسَّسات إتاحتها على الشبكة، ولا يزال صنّاع الثقافة يجهلون أن المشاركة والانفتاح يوازيان الأهداف العامة للمؤسَّسات الثقافية، كما أنهما يوفران مجالًا لتوليد الدّخل والادخار.

وفي عصرنا الحالي، يضيف فون هالر غرونبيكز، إنّ طرح الإنترنت أدوات جديدة لا يسمح لنا بتصفّح المحتوى الرقمي فحسب، إنما يسمح للمستفيد أيضًا بأن يغيّر، يضيف، يعدّل، ويحسّن المحتوى الرقمي. ومع مرور الوقت، باتت هذه الأدوات شيئًا عاديًا بالنسبة إلى الناس، فالمراهقون مثلًا قادرون اليوم على تعديل الصوت، الفيديو، الصورة، والنصوص، كامتداد لعقولهم، إذ أصبح من الطبيعي تعديل المحتوى الثقافي، وبالتالي يمكن التعبير عن الذات سياسيًا وفنيًا، بطرق مبدعة، «فإعادة الدمج هي طبيعة الثقافة».

إنّ يوتيوب، فليكر، ويكيبيديا، والصفحات الشخصية على الشبكة، هي مجموعة أدلّة على «إعادة دمج الثقافة»، التي تعبّر عن حاجة الإنسان إلى استكمال بناء ما أنشأه الآخرون. وفي هذا السياق، يمكننا القول إنَّ إعادة الدمج هي عملية تعبّر عن أساس الطبيعة الاجتماعية للثقافة.

في الماضي، كان لإعادة الدمج قيود أساسها الملكية الفكرية. لذلك، فإنَّ مؤسَّسات ذاكرة الوطن تواجه تحدّيات لكي تستطيع إتاحة المحتوى للجميع، من أجل مشاركته وإعادة استخدامه، وبالتالي يجب على أصحاب الملكية الفكرية وحقوق النشر منح الإذن بالنشر في الدرجة الأولى، لتعطي المؤسَّسات بدورها الإذن في النشر، إذا كانت تمتلك حقوق النشر.

وهنا، يمكن أن نخلص إلى أنَّ المشكلة الأساسيَّة التي تقف عقبة أمام «الثقافة الحرة» هي الملكية الفكرية، التي كان أول من دعا إلى إلغائها، فضلًا عن إلغاء حقوق النشر، هو المبرمج ريتشارد ستولمان (Richard Stallman)، وبخاصة أنَّ المعلومات أصبحت متوافرة، لا بل منتشرة على الشبكة.

ورغم ذلك، فإن من الطّبيعي أن نجد في المقابل مؤسَّسات تدفع مبالغ طائلة لتحمي معلوماتها، وهو ما كشفه أستاذ القانون في الولايات المتحدة الأميركية، لورنس لسيغ (Lawrence Lessig)، الذي اقترح القيام بعملية «الاختراق» (Hack)، ليس بالمفهوم غير القانوني، بل

كحلٍّ يرضي الطرفين. والحلّ هو إعطاء المؤلف فرصة من أجل إتاحة إنتاجه ومشاركته، ليس من خلال إجباره على تغيير قانون الملكية الفكرية، بل من خلال فكرة المشاع الإبداعي.

وبذلك، كان المشاع الإبداعي مجموعة أدوات تسمح للمؤلف بأن يشارك معلوماته مع الآخرين من خلال الإنترنت. وبناءً على قانون الملكية الفكرية، يمتلك المؤلّف الحق في تحديد استخدام عمله، فيما تحدّد الرخصة شروط كيفية استخدام هذا العمل، لمراعاة حقوق النشر والملكية الفكرية، وفي الوقت نفسه إتاحة المعرفة للجميع.

يتساءل المستشار الرقمي بيتر ليث (Peter Leth) عمّا سيحصل عندما نجعل تراثنا الثقافي متاحًا للجميع من خلال رخصة، وعما سيحصل ما لم نفعل ذلك، ويرى أنَّ الإتاحة ليست فقط في عرض المحتوى في الموقع فقط، بل إنَّ عملية التعلم تعتمد على عملية الوصول إلى المعرفة، فالتعلّم هو عملية تراكم، تتم من خلال عملية النسخ، إعادة الإنتاج، التطوير، إعادة الدمج، وإعادة الاستخدام. ومن السَّهل أن تتم عملية المشاركة في الفضاء الرقمي، لذلك سهَّلت رخصة المشاع الإبداعي عملية التعمّق في المعلومات.

ويسأل ليث: إذا لم يكن كلّ شيء متاحًا، من سيعرّفنا بالموارد غير المتاحة؟

إنَّ رخصة المشاع الإبداعيّ ساعدت على جعل العالم منفتحًا على بعضه البعض، من خلال جعل كلّ شيء مرئيًا أمام الآخرين. ومن أجل نشر الثقافة وتطوير المجتمعات، علينا أن نسعى إلى جعل الموارد متاحة، ذلك أنها تؤدي إلى مشاركة المعرفة، التي تؤدي بدورها إلى تطوير عملية التعلم لدى الأفراد، وبالتالي تطوّر شخصيَّتهم في المستقبل.

المراجع:

1. انظر:
Creative Commons. Retrieved from: http://cutt.us/CM6VQ.

2. انظر:
Von Haller Gronbaek, Martin (2017) GLAMourous Remix: Openness and Sharing for Cultural Institutions. Retrieved from: http://cutt.us/uEqlc/.

3. انظر:
Kapsalis, Effie (2016). The Impact of Open Access on Galleries, Libraries, Museums. & Archives.

غادة دمشق: اختصاصية في مجال المعلومات والمكتبات، ومفهرسة في مشروع النهوض بالمكتبة الوطنية اللبنانية. هي أيضًا مدربة في قواعد وصف المصادر وإتاحتها، وتعد حاليًا رسالة ماجستير في إدارة المعلومات.
للتواصل عبر الإيميل: ghadadimashk@gmail.com

المستودعات الرقميَّة:
حافظة للذاكرة الأكاديمية ومنصَّة لنشر الأبحاث العلميَّة

فاطمة البزال

بعض الحكم لا تموت، لأنها تكون الأكثر صدقًا وقدرةً على التعبير عن واقعنا. أحسن الفيلسوف اليوناني هيراقليطس عندما قال: «التغيير هو الشيء الثابت الوحيد في حياتنا»، فعندما نتطلَّع إلى حياتنا بمناحيها كافّة، ومدى تغيّرها في السنوات الأخيرة فقط، نجد الكثير لنقوله في هذا الصَّدد.

ثبت أنَّ التطور التكنولوجي هو أكبر تغيير حاصل في العصر الحديث، لأنَّه أنتج قطاعات جديدة، وساهم في تغيير الكثير من القطاعات الأخرى، وكان لقطاع المعلومات الحصَّة الكبرى، فقد أحدث التطور التكنولوجي تغييرات جذرية فيه، من حيث اختلاف طبيعة المعلومة من ناحية، ووسائل حفظها وبثّها وإتاحتها من ناحية أخرى.

هذا التطور في قطاع المعلومات تزامن مع نشأة حركات عالمية تدعو إلى حرية الوصول إلى المعلومات في ظل غياب القيود الزمانية والمكانية على الوصول إليها. بات بإمكان أيِّ شخص الوصول إلى المعلومة التي يريدها بمجرد الاتصال بشبكة الإنترنت؛ تلك البوابة إلى العالم الافتراضي الَّذي يشكّل مرآة للعالم الواقعي بكلّ جوانبه.

تسعى المكتبات الأكاديمية التي تعتبر الحاضنة الأولى للإنتاج الفكري الأكاديمي إلى الاستفادة من هذه الحركات، ومن التطور التكنولوجيّ، في سبيل إتاحة إنتاجها الأكاديمي وتسهيل الوصول إليه، من دون أية قيود أو شروط، من خلال إنشائها المستودعات الرقمية المؤسّسية. من هنا، سنتطرَّق إلى فكرة المستودعات الرقمية للمؤسَّسات الأكاديمية بشكل أساسي، ونعرض لأهمّ الجهود والمشروعات في هذا السّياق.

ماهيَّتها وارتباطها بحركة الوصول الحرّ إلى المعلومات

تمثّل المستودعات المؤسَّسية مجموع الإنتاج الفكري الرقمي للمؤسسة الجامعية أو البحثية. تنشئ المؤسَّسات هذه المستودعات لأهداف شتى، إلا أنها تضمن من خلالها في كثير من الحالات إتاحة مفتوحة لإنتاجها الفكري. تتنوع هذه المؤسَّسات تبعًا لجهتها المنشئة أو تخصّصها في المجال الذي تخدمه، فنجد انتشارًا واسعًا للمستودعات المؤسسية، أي تلك التابعة للمؤسَّسات الجامعية ومراكز الأبحاث، يتبعها في الانتشار المستودعات الموضوعية المتخصّصة التي تهتم بالمجال العلمي في مجال واحد أو عدّة مجالات موضوعية.

وبينما تستقطب المستودعات المؤسسية الإنتاج العلمي للمنتسبين إليها في مجال واحد أو في عدة مجالات، وتتيحه للمستفيدين داخل المؤسسة وخارجها، نجد أن المستودعات المتخصصة تابعة لإحدى الكليات أو الأقسام والمعاهد العلمية أو يدعمها عدد من المؤسَّسات المتخصّصة في المجال الموضوعي للمستودع.

تزامنت انطلاقة المستودعات الرقمية المؤسسية مع نشأة حركة عالمية تدعو إلى إتاحة الوصول إلى المعلومات من دون قيود. هذه الحركة التي تربط دعوتها بحق كل المواطنين والناس بالوصول إلى المعلومات العامة والأكاديمية، من دون أن تقيدها شروط مالية أو مادية أخرى، عزَّزت من دورها من خلال ربط هذه الإتاحة بسهولة الوصول إلى المعلومات، من خلال محركات البحث العامة عبر شبكة الإنترنت، وهذه المحركات التي تعتبر بوابة ربط المستخدم الفعلي بعالم المعلومات العالمي، ساهمت في دفع المؤسَّسات الأكاديمية نحو الاستفادة منها قدر المستطاع، من خلال جعل إنتاجها الأكاديمي متاحًا عن طريقها.

تمثل المستودعات المؤسَّسية مجموع الإنتاج الفكري الرقمي للمؤسسة الجامعية أو البحثية، وتتعزَّز قيمتها باعتبارها منصات لنشر الأبحاث العلمية.

شعار برنامج Dspace

ترتبط المستودعات بمجموعة من المعايير التقنية الخاصة بإيداع المواد فيها بالدرجة الأولى، إذ تسمح هذه المعايير للمودع، وهو صاحب العمل الفكري، بأرشفة عمله مباشرة عند الإيداع. إنَّ الارتباط بهذه المعايير يسمح بتوحيد طريقة إضافة الميتاداتا إلى العمل، ويساهم في تحسين الوصول إليه، سواء عبر المستودع نفسه أو من خلال محرك البحث غوغل أو غوغل الباحث Google Scholar.

تتألَّف الميتاداتا المضافة من العناصر التالية: اسم المؤلف، الرتبة الوظيفية، عنوان المقال، تاريخ المقال، إضافةً إلى مستخلص موضوعي لها. تساهم هذه الأرشفة في زيادة المحتوى الموضوعي للمستودع، وتخفّف على المؤسسة الأعباء المرتبطة بهذا الجهد. بالتالي، تزيد بذلك مساهمة المؤسَّسة في تطوير مجالها الموضوعي من خلال زيادة الأبحاث العلمية المنشورة عنه.

تتعزَّز قيمة المستودعات المؤسسية باعتبارها منصّات لنشر الأبحاث العلمية، إذ يبرز من خلالها دور المؤسسات الأكاديمية وقدرتها على تقديم الأبحاث العلمية في مجالات تخصّصها. وهي تشكّل، بالنسبة إلى الباحث، واجهة له لعرض بحثه للجمهور المتخصّص، فيرفع بذلك من فرص الوصول إلى هذا البحث والاستفادة منه في أبحاث لاحقة، نتيجة سهولة إتاحته من خلال هذه المستودعات ومجانيتها.

إن نشر الأبحاث العلمية في الدوريات المحكمة يعطي مصداقية للباحث والبحث المقدّم، إلا أنه في الوقت نفسه يشكّل عائقًا بحدّ ذاته، نتيجة الأسعار المرتفعة للاشتراك الشخصي أو المؤسّسي بهذه الدوريات. تتعزَّز قيمة البحث العلمي بقدرته على أن يكون جسرًا أو محطة مستخدمة لبحث علمي آخر يثبت النظرية المقدمة أو ينفيها، لذلك، يكون بلا قيمة إذا بقي مجرد حبر في ورق دورية مرتفعة الثمن. عملت المستودعات المؤسّسية على كسر احتكارات الناشرين، وساهمت في دفع النشر العلمي قدمًا، إذ قدَّمت فرصة رائعة للوصول إلى الأبحاث السابقة في المجال الذي هو شرط أساس لإنتاج الجديد المعرفي.

مستودع الجامعة الأميركية في بيروت نموذجًا

بدأت الجهود العربية المرتبطة بإنشاء المستودعات الرقمية المؤسسية متأخرة نوعًا ما عن مثيلاتها في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا. سنتحدث هنا بالتحديد عن المستودع الرقمي الذي أنشأته الجامعة الأميركية في بيروت Scholar works العام 2012، وجعلته منصَّة لأكاديميي الجامعة وطلابها وفريقها العامل لنشر إنتاجهم الفكري عبره وعرضه للجمهور العام.

يُعتبر هذا الجهد من أوائل الجهود اللبنانية والعربية في هذا السياق، فهو وإن بدأ فقط بأطروحات الطلاب الجامعية، إلا أنه ما لبث أن توسَّع سريعًا ليتضمَّن أنواعًا أخرى من الإنتاج الفكريّ. يضمن هذا المستودع استمراريَّة العمل من خلال مراكمة الإنتاج الفكري والعمل على حفظه على المدى الطويل وتأمين إتاحته للجمهور العام. نجد في محتواه أطروحات ورسائل جامعية وتقارير ومقالات وملصقات وخرائط وخطط مشاريع وغيرها، وهي جميعها تنتجها مجموعة واسعة من الأقسام الأكاديمية والمشروعات المرتبطة بالجامعة، ندرجها كالتالي: معهد أسفاري للمجتمع المدني والمواطنة، بنك معلومات الجامعة الأميركية في بيروت، كلية العلوم الزراعية وعلم الأغذية، كلية الفنون والعلوم، كلية الهندسة والعمارة، كلية العلوم الصحية، كلية الطب، معهد عصام فارس، مبادرة حسن الجوار، كلية رفيق الحريري للعلوم التمريضية، منشورات الطلاب، كلية سليمان عليان لعلم الأعمال ومكتبات الجامعة.

بذلك، نجد أنَّ الجامعة بكلياتها كافة تشترك في هذا المستودع، من خلال إيداع كل الأعمال الفكرية التي تنتجها على مستوى أساتذتها أو طلابها أو فريقها العامل. تعتمد الجامعة على برنامج Dspace

المفتوح المصدر في إدارة هذا الكم الكبير من الإنتاج الفكري، وهو يسمح لصاحب العمل ومودعه أن يقوم بأرشفة ذاتية لعمله، من خلال إضافة بيانات الميتاداتا المرتبطة بالعمل.

مشكورة هي كلّ الجهود التي تساهم في إتاحة العمل الفكري، فهي بذلك تساهم في إثراء المحتوى الأكاديمي على شبكة الإنترنت. إذا اطَّلعنا سريعًا على المحتوى العربي الرقمي المتاح، نجد أنَّ نسبة الأكاديمي منه تكاد تنعدم. لذلك، تشكّل نماذج المستودعات الرقمية فرصةً وتحديًا في آن معًا، وعلى المؤسَّسات الأكاديمية العربيَّة أن تحذو حذو مثيلاتها في الدول العربية والعالم نحو إتاحة محتواها الأكاديمي من خلال هذه المستودعات، علّنا بذلك نخطو خطانا الأولى نحو فكر جديد قد يحمل معه أملًا بتغيير الواقع الأكاديمي، ومن خلفه المجتمع بكليّته.

المراجع:

1. شاهين، فاطمة (2015)، المستودعات الرقمية المؤسسية: AUB Institutional Repository نموذجًا.
2. فرج، حنان أحمد (2012)، المستودعات الرقمية المؤسسية ودورها في دعم المحتوى العربي وإثرائه على الإنترنت، نُشر في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مجلد 18، عدد 2.
3. انظر:
Giesecke, Joan (2011). Institutional repositories: keys to success. Faculty Publications, UNL Libraries.
4. انظر:
Robinson, Mary (2007). Institutional repositories: staff and skills requirements.
5. انظر:
Yakel, Elizabeth and others (2008). Institutional repositories and the institutional repository: college and university archives and special collections in an era of change. In: The American Archivist, volume 17.

فاطمة البزال: اختصاصيَّة في مجال المعلومات والمكتبات، ومفهرسة في مشروع النهوض بالمكتبة الوطنية اللبنانيَّة. حائزة على ماجستير في إدارة المعلومات، وهي مدربة في مجال الفهرسة والتكشيف الموضوعي.

للتواصل عبر الإيميل: fatimaalbazzal@gmail.com

Confidential.

The Agency, Bahrain.

No. 4 C.

15th January 1930.

BUSHIRE RESIDENCY.
No. 123
Date 29.1.30
HISTORICAL RECORDS.

From

Captain C.G.Prior, I.A.

Political Agent, Bahrain.

To

The Hon'ble Lt.Col. H.V.Biscoe I.A.

Political Resident, Persian Gulf.

Sir,

I have the honour to state that on my return from Bushire, I found that the question of the protection of Baharna at Qatif had taken an acute form.

2. It will be remembered that I had given a letter of good offices to a certain genuine Bahraini, one Ahmed bin Abbas, who had not been interfrered with, but who feared that he might be molested. Directly I returned I was told that when he gave the letter to the [illegible] the latter had ordered him to be thrown into prison, saying ' Let the person who is-

وثيقة تذكر قضية أحمد بن عباس: هل هو من البحرين أو من القطيف؟

وثيقة وحكاية

حكاية أحمد بن عبّاس بين البحرين والقطيف

د. محمد السلمان

قيل للرجل من البحارنة: «فليأتِ من أعطاك الرسالة ليطلق سراحك»، فجاء الردّ من الرجل الإنجليزي بكلام آخر يقول: «معظم أهل القطيف باتوا لا يملكون سوى جلود أجسادهم».

بين هاتين العبارتين، وقعت حادثة لها دلالات عديدة في ملفّ الهجرات البشرية التي تمت بين جزر البحرين وشاطئ المنطقة الشرقية لشبه الجزيرة العربية، وتحديدًا بين منطقة القطيف والبحرين، وأخذت حيزًا زمنيًا استمر لأكثر من أربعة أشهر بين كانون الثاني/ يناير وأيار/ مايو من العام 1930م. هذه الحادثة كان لها علاقة بالجوانب الإدارية أيضًا بعد بدء مشروع إصدار الجوازات البحرينية رسميًا في عهد مستشار حكومة البحرين تشارلز بلجريف، وتوقيعه على كل جواز أيضًا. فما هي هذه الحادثة بوثائقها؟ ومن هو بطلها أو أبطالها؟

بدايةً، لا بدَّ من ذكر معلومات متداولة صارت من شبه المسلّمات تاريخيًا، تذكر أنَّ البحارنة اسم يُطلق على كلّ السكان الذين ضمّهم ما يُعرف سابقًا بإقليم البحرين الكبير، وهو إقليم واسع يمتدّ بطول الساحل الغربي للخليج، ضمّ جزر أوال والنطاق الجغرافي لشرق شبه الجزيرة العربية الممتدّ من كاظمة في حدود الكويت الحالية وحتى شمال حدود دولة الإمارات الحالية طولًا، وبامتداده إلى مشارف صحراء الدهناء عرضًا، بما كان يشمله من واحات الأحساء، وأكبرها الهُفُوف والمَبرَّز، والقطيف وقراها وواحاتها، وغيرها [1]، وأن هؤلاء البحارنة هم عرب ينتمي أغلبهم إلى القبيلة العربية الشهيرة ربيعة، فغالبية أسر البحارنة ترجع إلى قبيلة عبد القيس من ربيعة. والقبائل العربية التي ينتمي إليها البحارنة هي: بكر بن وائل، وهي قبيلة من العدنانية تنتسب إلى بكر بن وائل، وقبيلة تميم بن مر، وهي قبيلة من العدنانية، تنتسب إلى تميم بن مر بن أد، وعبدالقيس بن أفصي، وهي قبيلة كبيرة من العدنانية، تنتسب إلى عبدالقيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة [2].

وبما أنَّ جزر أوال (البحرين لاحقًا) تنتمي إلى هذا الإقليم قلبًا وقالبًا، وبسبب اختلاط السكّان القدامى بغيرهم، وبعد الإصلاحات الإدارية على يد المعتمد السياسي البريطاني في البحرين كلايف ديلي في الفترة ما بين 1920-1926م، فقد اعتبر البعض أنّ اسم «بحراني» يختصّ بالشيعة العرب، سكّان البحرين الأصليين من «البحارنة». لذا، استحدثت الحكومة، وبالتدريج، لفظ وصفة «بحريني»، ليعمَّ على الجميع كحلّ بديل لما هو أصل.

المقدّم إج. ڤي. بيسكو (Hugh Vincent Biscoe)

بالعودة إلى الوثيقة، مربط حكاية هذا العدد، وما تبعها من تردّدات القضية في بقية الوثائق الإنجليزية، فهي قد حدثت في فترة المدعو إج. ڤي. بيسكو، الذي كان يشغل منصب المقيم السياسي في الخليج بين تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1929م وتموز/ يوليو من العام 1932م، حيث توفي.

وتفاصيل الحكاية تقول إنَّ هذا المقيم البريطاني كان قد أرسل رسالة من «بوشهر»، حيث يُقيم ويمارس عمله في مبني المقيمية، بتاريخ 8 كانون الثاني/ يناير من العام 1930م، إلى وزير الخارجية في حكومة الهند، في نيودلهي، يقول، بناء على ما ورد في الوثيقة: «يشرّفني أن أدعوكم إلى الرجوع إلى برقيتي رقم T-61، المؤرخة في 15 كانون الأول/ ديسمبر 1929، والتي تفيد بأنّه ما بين 200 و300 بحراني فرّوا من القطيف، ولجأوا إلى جزيرة المنامة التابعة للبحرين. وبعد ذلك، أبلغني المعتمد السياسي أنّ عدد اللاجئين البحارنة قد ارتفع إلى نحو 1,000 شخص، وأنّهم أُجبروا على الرحيل مخلّفين عائلاتهم وراءهم. وكان النقيب بريور [تشارلز جيوفري بريور Charles Geoffrey Prior، المعتمد السياسي البريطاني في البحرين في الفترة ما بين 1929-1932]، في رحلة صيد مع نائب حاكم البحرين، عندما وصل وفد من هؤلاء البحارنة لرؤية الشيخ حمد. لم يكن هناك تعاطف معهم في شكاويهم باعتبارهم شيعة، لكنّهم أُخبروا أنّه لا فرق بين البحرين والأحساء، ويمكنهم المجيء إلى البحرين إذا رغبوا في ذلك، غير أنّهم اشتكوا من محاصرة عائلاتهم، ولهذا أحالهم الشيخ إلى المعتمد السياسي. وأفاد النقيب بريور بأنّه استقبلهم في اليوم التالي، ولكن قبل ذلك أبلغني عبر برقية أنّ هؤلاء الأشخاص قدموا لرؤيته، وقد حذّرته أنّه لا ينبغي عليه أن يقدم وعدًا لأحد بالمساعدة إلّا في حالة الأشخاص الذين تُثبت جنسيّتهم البحرينية. وصرَّح المعتمد السياسي أنّه كان واضحًا أن أوّل رجلين التقى بهما كانا من الرعايا البحرينيين الذين ولدوا في الجزيرة وتركوها في السنوات القليلة الماضية فقط. وقد ذكرا أنّهما لم يتعرضا للمضايقة، نظرًا إلى أنهما معروفان على أنّهما بحرينيان، وهو أمرٌ ذو فائدة، لأنه يُظهر أننا تدخّلنا لصالح البحارنة الأصليين، وهو أمر متوقّع من قبل السّلطات هناك. ومن بين العشرين الآخرين الذين أتوا لرؤية المعتمد السياسي، تمكّن واحد منهم فقط من تقديم إثبات حقيقي بأنّه من الرعايا البحرينيين. وقد أصبحوا الآن ثلاثة، لذا ففي حالة هؤلاء فقط قدَّم المعتمد السياسي لهم رسائل غير رسمية موجّهة إلى مسؤول القطيف. أمّا الأفراد المتبقون من الوفد، المقيمون في الأحساء، والمعروفون بأنّهم بحارنة، وقد يكونون من أصول بحرينية واستقروا منذ فترة طويلة على أرض شبه الجزيرة العربية، بدا من الصّعب اعتبارهم رعايا بحرينيين، ولم يترك النقيب بريور أي أمل في نفوسهم بأنّ السلطات البريطانية ستتدخَّل لصالحهم. وكانت شكوى هؤلاء الأشخاص مفادها أنّه كانت تُجبى منهم ضرائب مرتفعة قسرًا، والكثير منهم لا يستطيعون الهجرة بسبب وجود ممتلكات خاصة بهم هناك لا يمكن نقلها» [3].

أما فيما يتعلَّق بقضية حماية هؤلاء الأشخاص، فقد كتب المعتمد السياسي: «إذا قدّم أيّ شخص إثباتًا منطقيًا بامتلاكه جنسيَّة بحرينية حديثة، نتيجة ولادة أو إقامة، أو أيّ إثبات قوي آخر، فمن المستحيل عندئذٍ حرمانهم من حمايتنا. ويزداد انتقاد سكّان هذه الجزر للحماية البريطانية المفتقرة إلى الحماسة لرعاية مصالحهم في الخارج.

وإذا كان مطلبنا بحماية البحارنة صادقًا، فلا ينبغي أن يكون معيار هذه الحماية نفعيًّا في أيّ حالٍ من الأحوال، بل هو حقٌّ للإنسان. وينبغي أيضًا إبلاغ البحارنة الآخرين الَّذين خرجوا من البحرين منذ مدة طويلة، بأنه لا يمكن معاملتهم كرعايا بحرينيين بعد الآن» [4].

وقد تم إرسال نسخة من هذه الرسالة الإنجليزية إلى وزير الدولة لشؤون المستعمرات البريطانية ممثل صاحب الجلالة.

قضيَّة أحمد بن عباس

وتجلَّت القضية الحقوقية العامة لهؤلاء الناس في 15 كانون الثاني/ يناير من العام 1930م، في اسم شخص يُدعى أحمد بن عبّاس الدرازي، الَّذي برزت قضيته وأخذت مجالًا من السجال بين المسؤولين الإنجليز وحكام المنطقتين حول: هل ابن عباس من البحرين أو من القطيف؟ وقد ذكر النقيب سي. جي. بريور أن أحدًا لم يتعرّض له بأي أذى، ولكن كانت لديه مخاوف من أن يتعرض للمضايقة لاحقًا هو الآخر. وقد صدقت مخاوفه، حيث تم إلقاء أحمد بن عباس في السجن، كما يُضيف بريور، بناءً على ما سمعه من مساعديه عند عودته مباشرة إلى البحرين، وقيل لابن عباس حينها: «فليأتِ من أعطاك الرسالة ليطلق سراحك»[5]. وأضاف بريور في تقريره المذكور بأنه استلم دعوة لزيارة القطيف، وقد اقترح تلبية تلك الدعوة قبل اتّخاذ أيّ خطوات أخرى، ليرى ما إن كان من الممكن أن يتوصّل إلى تسوية وديّة بشأن هذه القضايا الخاصة بالبحارنة هناك. وقد كان بريور متحفظًا، كعادة الإنجليز بحسب النظرة الأحادية إلى مصالحهم في تصديق الناس العاديين فيما يجري لهم أمام ردود المسؤولين، حيث

البحارنة اسم يُطلق على كلّ السكان الذين ضمّهم ما يُعرف سابقًا بإقليم البحرين الكبير، وهو إقليم واسع يمتدّ بطول الساحل الغربي للخليج، ضمّ جزر أوال والنطاق الجغرافي لشرق شبه الجزيرة العربية.

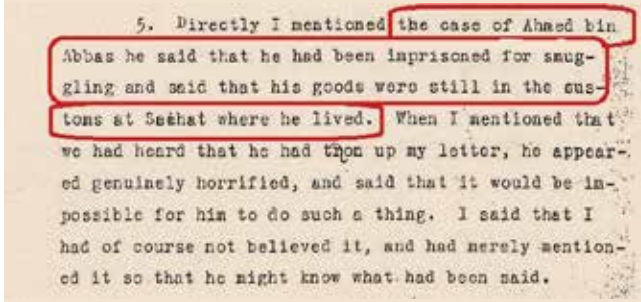

5. Directly I mentioned the case of Ahmed bin Abbas he said that he had been imprisoned for smuggling and said that his goods were still in the customs at Saihat where he lived. When I mentioned that we had heard that he had thon up my letter, he appeared genuinely horrified, and said that it would be impossible for him to do such a thing. I said that I had of course not believed it, and had merely mentioned it so that he might know what had been said.

وثيقة تذكر سبب سجن أحمد بن عباس

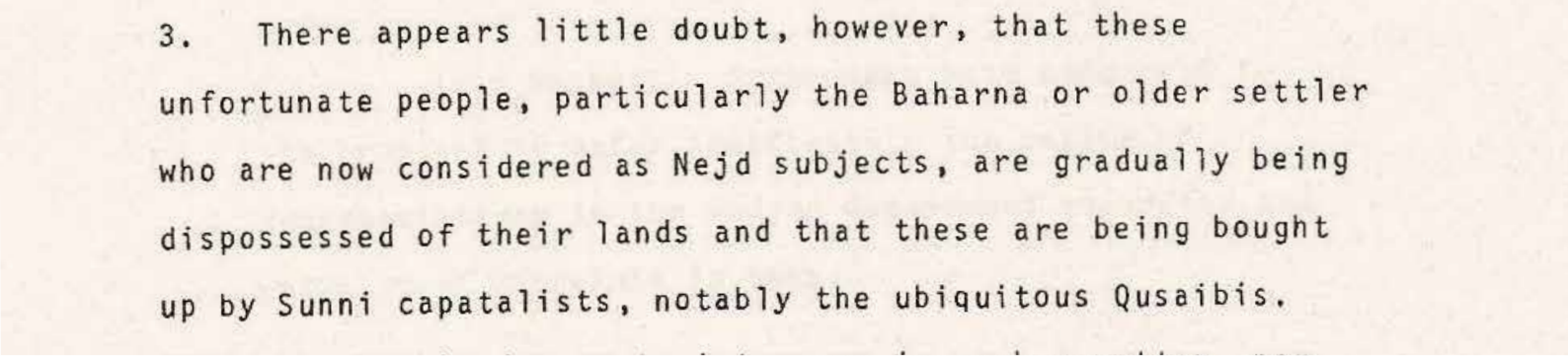
3. There appears little doubt, however, that these unfortunate people, particularly the Baharna or older settler who are now considered as Nejd subjects, are gradually being dispossessed of their lands and that these are being bought up by Sunni capatalists, notably the ubiquitous Qusaibis.

وثيقة تشير إلى الإفراج عن ابن عباس ونهاية قضيته

يقول: «قد لا يكون لدينا الحقائق كلّها، ولكن إن كانت الحقائق مطابقة للواقع، ولم يُرضني كلام المسؤول، عندئذٍ يجب النظر في الخطوات التي ينبغي اتّخاذها لحماية هؤلاء الأشخاص، فبعد أن مكّنا أنفسنا في جزر البحرين بالشكل الذي يناسب مصالحنا مع هذه الفئة، لا يمكننا أن نرفض دفع ثمن ذلك»، إلا أنه يعود للقول مرة أخرى، بأنَّ مسؤول القطيف ذكر له بأنَّ أهاليها «باتوا لا يملكون سوى جلود أجسادهم»، وأنّ إحدى الأسر المتنفذة فيها، من كبار الملاك العقاريين، هم من بدؤوا بالمعاملة السيئة بشكل عام، وسارعوا إلى شراء أراضي اللاجئين المساكين كلها بأسعار زهيدة جدًّا. ثم أضاف: «قد يُعتقَد أنّه من المستغرب أن أقدّم رسالة نيات حسنة إلى بحرانيّ مسافر إلى القطيف أو يعيش هناك، ولكنّه أمرٌ شائع جدًّا، وتقوم به السّلطات هناك على نحوٍ دائم أكثر منا» [6].

زيارة إنجليزيَّة

وقد قام المعتمد السياسيّ البريطانيّ في البحرين بزيارة مرتّبة مسبقًا بناءً على دعوة، كما ذكر آنفًا من مسؤول القطيف، في شهر كانون الثاني/يناير من العام 1930م. وبحث هناك مع المسؤول قضايا المهاجرين بين البلدين، ومنها قضية أحمد بن عباس الدرازي، ثم قام بزيارة الدمّام وسيهات. وذكر من هناك بأنه: «بعيدًا عما يرد في دليل الجزيرة العربيّة عن خراب الدمّام، فهي تضمّ نحو 500 فرد من الدواسر الذين أتوا من البديع في البحرين. أمّا سيهات، فهي مدينة كبيرة تضمّ نحو 1,500 نسمة، وكلّهم من البحارنة». ويُضيف المعتمد: «ناقشتُ معه مسألة البحارنة بشكلٍ كامل، كما أخبرته أنّ النجديّين في البحرين يتمتّعون بأوضاع مميزة، وأخبرته أيضًا أنّنا اضطررنا إلى تبنّي قضيّتهم كما حدث مع «المحمّرة» على الساحل الشرقي للخليج. ثم عند ذلك، ذكرت له قضية أحمد بن عبّاس، فقال لي إنّه سُجِن بتهمة التهريب، وإنّ بضاعته ما زالت في جمارك سيهات حيث يقطن ابن عبّاس. وعندما ذكرت له ما وصلنا من أنباء عن تمزيق رسالتي، قال إنّ من المستحيل أن يُقدم على هذا الفِعل. فأردفت قائلًا إنّني لم أصدّق ذلك بالطبع، وإنّما ذكرت الموضوع من باب اطلاعه على ما يُقال. وسألني عندئذٍ عن مدة السكن التي تجعل المرء من أهل المنطقة، فقلت إنّه يصعب الاتفاق على قاعدة عامّة للحالات كلّها، ولكن لا ينبغي أن تقلّ مدّة الإقامة عن ٦ أشهر في السنة. كما ناقشنا مسألة كيفيّة التمييز بين البحارنة وغيرهم، فشرحتُ له أنّ حكومة البحرين لا تصدر تصاريح مرور إلا لمن وُلد في البحرين، ولا يهمّها أمر غيرهم. وقلت له إنّه عند عودتي من «بوشهر»، أبلغتُ وفدًا من أهل القطيف ألا يتوقّعوا منّا شيئًا إن كانت مزاعمهم غير مثبَتة بأنّهم بحارنة، فأبدى ارتياحه لذلك» [7].

ويبدو أنَّ الرجل الإنجليزي قد ارتاح لكلّ الردود والتبريرات التي تلقاها من مضيفه في القطيف، فقال: «إنّ الرواية التي وصلتنا عن الحادثة كانت أحاديّة الجانب». وأضاف: «كما أعتقد أنّ غموض موقفنا إزاء أهل القطيف بشكل عامّ قد أقلقهم، وأنّنا قد نرفض أيّ ظلم يتعرّض له كلّ مواطن بحريني دون شك» [8]، لكنّ المعتمد السياسي في البحرين قد ذكر بشكل واضح أنَّ أحمد بن عباس الدرازي قد حصل على وثيقة هوية من بعد ما ثبُت أنّه مواطن بحريني بما لا يقبل الشك، لكن هذه الوثيقة سُحِبَت منه ووُضِعَ في السجن [9].

كما ذكر أمرًا مهمًا عمن كان وراء مثل هذه الأعمال في القطيف، حيث يعتقد شخصيًا بأنّ بعض كبار المُلاك والمتنفذين كانوا وراء جزء كبير من المشاكل بسبب سياستهم لإقصاء تجّار البحرين عن تجارة القطيف.

وحتى تاريخ 23 آذار/ مارس للعام 1930م، بقيت قضية بن عباس قائمة لم يتمّ حلها، رغم أنَّ بقية قضايا اللاجئين من البحرين إلى القطيف قد تمت تسويتها أو «معالجتها بأسلوبٍ مُرضٍ»، كما يذكر بريور، ومعرفة الحقيقة حولها ومن ثم إغلاق ملفّها.

أمّا مسألة أحمد بن عبّاس، فكانت على مستوى آخر، حيث كان أهله يضغطون على الشيخ باستمرار ليقوم بخطوة في هذا الصَّدد، وقد استجاب الشَّيخ لطلب أهل بن عباس، وخصوصًا أنه لطالما كان يعتبر أن لا فرق بين القطيف والبحرين أو البحرين والأحساء، كما تذكر الوثائق البريطانية الخاصة بهذه القضية [10]، فطلب من السلطات الانجليزية التحرّك في هذه المسألة. ولذا، رفع المقيم السياسي المقدّم إج. ڤي. بيسكو، تقريرًا جديدًا حول قضية بن عباس إلى السلطات البريطانية في المستعمرة الهندية، ذكر فيه أنّ القضية لا تزال بحاجة إلى التسوية [11].

ويبدو أخيرًا، بسبب كثرة الضّغوط وتتابعها من أكثر من جهة، وأهمّها السّلطات البريطانيَّة في فترة الحماية، فقد أُطلِق سراح أحمد بن عبّاس، كما تشير الوثيقتان، بتاريخ 8-9 أيار/ مايو للعام 1930م، «بعد أن أُلزِم بالتعهد بالبقاء في القطيف للأشهر الثلاثة القادمة». وقد عبّر أهله عن امتنانهم لما فعلته حكومة صاحب الجلالة [12]. كما أشار تقرير المعتمدية البريطانية في البحرين حول نهاية قضية بن عباس بأنَّ هناك رضا من قِبل الناس عن عودة أحمد بن عباس إلى أهل بيته في السنة الماضية، ما رفع من رصيد حكومة صاحب الجلالة بين البحارنة [13].

فللّه درّ هذا الإنسان البحراني وما تحمّله طوال تاريخه من عناء ومشقّة في حياته البسيطة على أرضه، كما أظهرتها الوثائق التي دوّنها مسؤولون كانوا هم الفاعلين في مراكز القرار أو قريبين منه في ذاك الزمان.

To Political Resident, "Patrick Stewart".

No. 776. Dated 8th received 9th May 1930.

p-129

Your letter No. 10 of 24th March, ~~xxxxxxxxx~~ paragraph 7, and your letter No. 12 of 31st March to Secretary of State for the Colonies. p-145

Ahmed bin Abbas has been released but obliged to give undertaking to remain in Qatif for the next three months.

His relatives have expressed gratitude at the action of H.M's. Government.

POLITICAL AGENT

Telegram Code.

From Political Resident, "Patrick Stewart".

To Secretary of State for Colonies, London.

Repeated H.M.'s. Charge d'Affeires, Jeddah.

No. T-84.

Dated 9th May 1930.

p-148

وثيقة تظهر إطلاق سراح ابن عباس في أيار/ مايو 1930

Ahmad bin Abbas has been ..... H.M's.

المراجع:

1. الجنبي، عبد الخالق بن عبد الجليل، تاريخ التشيّع لأهل البيت في إقليم البحرين القديم، ط 1، بيروت، 2014، ص 37-42، 72-73.
2. الربيعي، نجاح صباح ضايف، قبيلة ربيعة البحارنة، نسب وتاريخ ومواقف المؤلف، دمشق، 2012، ص 17-20.
3. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4: 19231932-, (England, 1993), pp. 327328-.

4. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p. 328.

5. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p. 330.

6. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p.332.

7. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p. 333334-.

8. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p. 335336-.

9. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p. 347.

10. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p. 327.

11. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p. 349.

12. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p 350.

13. انظر:

Tuson, Penelope, (ed.), Records of Bahrain Primary Documents 18201960-, Vol. 4, p. 372

د. محمّد السّلمان: باحث بحريني متخصّص في التاريخ، أعدّ أطروحة دكتوراه في جامعة هال البريطانية حول المظاهر السياسية والاقتصادية للحكم البرتغالي في الخليج. صدرت له مجموعة من الكتب التاريخية والترجمات.

للتواصل عبر الإيميل: adoommoon@gmail.com

كنيسة مار مخايل في بيروت منذ سنوات - من أرشيف بلدية الشياح

ذاكرة الصورة

شريط مار مخايل بالأسود والأبيض

تغريد الزناتي

تُعدّ منطقة مار مخايل بوابة الضاحية الجنوبية في بيروت. تنتقل منها - عبر تفرعاتها الأربعة - إلى وجهات عدة: معوّض، صفير، الحازمية، والشياح. هي منطقة مكتظة حاليًا، ويعاني مدخلها زحمة سير في ساعات الذروة، إلا أنّ الحال لم يكن كذلك منذ عدّة عقود.

واجهة المنطقة مبانٍ شاهقة، باطون مسلّح، محال تجارية، ومقاهٍ حديثة. ما إن تتسلَّل عبر الأزقة الخلفية، حتى تكشف لك المنطقة عن وجهها الحقيقي: أبنية قديمة تحمل جدرانها آثار الحرب الأهلية، بقايا من رصاص وضربات القذائف، ومحال يشغلها سكان «أصليّون»، بقوا هنا لأكثر من خمسين عامًا، وشهدوا تغيّرات عمرانية كبيرة، وراقبوا أشكالًا هندسية غريبة غيّرت معالم أراضيهم.

حكايا الناس: راحت هيديك الأيام

يمتلك نزيه سعد معملًا لصنع الأحذية في أحد شوارع حي ماضي في منطقة مار مخايل. الرجل الذي تجاوز العقد السادس من عمره، شهد الحرب الأهلية هنا، وراقب وابلًا من الرصاص يقطع فوق معمله بالاتجاهين. «المنطقة هون كانت للطائفتين المسيحية والدرزية، مزارعين بهالبساتين»، يشير بنظره إلى أبنية مجاورة لا يفوق عمرها السنوات العشر.

يخبرنا عن البساتين التي ملأت مساحات شاسعة بخضارها وأشجارها: ليمون، بقدونس، نعنع، بصل.. كانت الأرض زراعية موسمية، لكنها اليوم تُعرف بسوق معوّض ومنطقة صفير وحي الأميركان..

اقتصرت المباني على بيوت أرضية «متل بيوت الضيعة». طبقة أو طبقتان على أبعد تقدير. يسكنها المزارعون مع عيالهم. بهذه البساطة. وما إن اشتعل فتيل الحرب الأهلية اللبنانية، حتى هاجر منها من هاجر، ولجأ إليها من لجأ، وبدأت التغيرات تطرأ على معالم المنطقة شيئًا فشيئًا، حتّى أمست اليوم بغالبيتها جديدة.

يروي لنا حسن خليل (صديقٌ قديم لنزيه سعد) قصصًا من الماضي تسكن طيات ذكرياته عن رفاق ما عادوا في دنيانا، عن جلسات تحت «الجوافة» (شجرة الفاكهة) اعتاد قضاءها مع صديقه أبو أسعد الذي توفي منذ سنوات. يرسم لنا برجفة صوته شجرة مثمرة كبيرة، وجلسة هادئة في فيئها، وضحكات من أيامٍ سعيدة قضت وغادر أصحابها ومعهم هناء العيش البسيط.

«الأيام كانت طيبة». هكذا يختصر حسن خليل الحكاية كلّها، بكلِّ ما تحمله الجملة من نوستالجيا وحسرة. المنطقة هنا لا تشبه نزيه سعد ولا حسن خليل. هذان الرجلان، بِشَيْبِهما وتجاعيد وجهيهما يحفظان في جلدهما وفي نظراتهما الدامعة ذاكرة المنطقة كما كانت، كما خُلقت في أوّل تكوين، قبل أن تدخل الآلات الضَّخمة لتسقط فوقها أشكالًا ثقيلة ووحوشًا من الإسمنت. وجه مار مخايل الحقيقي هو وجه هذين الرجلين.

في الطابق الأرضي من مبنى من بقايا الحرب الأهليَّة، يقع متجر محمود ضيا للملابس. محمود رجلٌ أربعيني، يعيش في منطقة مار مخايل، وكذلك عائلته.

ماضي منطقة مار مخايل بالنسبة إلى محمود هو «خط التماس أيام الحرب الأهلية... ذكريات يصعب نسيانها، لكننا نسعى إلى ذلك». بين حزب الكتائب وحركة أمل معارك كثيرة شهدتها المنطقة هنا، فضلًا عن دخول الجيش السوري إليها، في محاولة للوصول إلى العماد ميشال عون الذي كان موجودًا في منطقة الحازمية آنذاك، وفتح جبهة قتالية مع قواته المسلّحة.

يعرف محمود أنَّ ماضي المنطقة أبعد من ذكريات الحرب، وهو يعلم جيّدًا أنّ بساتين الخضار سادت هنا بدل العمارات، وأنّ أشجار الليمون أوْلى في شريط الذكريات من مشهد القناص الذي كان يسهر فوق سطوح المدينة، لكنَّ المحطات التي شهدتها الأحياء هنا كانت كثيرة.

يشتاق سكان المنطقة إلى الهدوء، وإلى وجوه مألوفة كالتي اعتادوا رؤيتها قديمًا، عندما كانت مار مخايل كالقرية وكانوا سكانها جيرانًا، وكان الزائر الغريب يمكن تمييزه عن بعد. ما عادت الأحوال كما كانت، ولا الزمن إلى الماضي سيعود. قلّما تجد سكانًا «أصليين» هنا، كما استحدثت الأبنية وتجدّد السكان..

مار مخايل في الأدراج الرسمية

حي مار مخايل أساسًا هو عبارة عن شارع واحد فيه عقارات من الجانبين: الجانب الأيمن فيه كنيسة مار مخايل، والجانب المقابل فيه وحدات سكنية. يبلغ عدد سكان الحي حاليًا حوالى 350 نسمة.

توسّع الحي إلى الأراضي التي تحيطه، التي تعرف اليوم بأحياء مارون ماسك وماضي ومعوض. وبدل المساحات الفارغة والبساتين قامت عمارات:

- حي معوض كان عبارة عن مبنى واحد باسم مبنى معوض، وتحيطه البساتين. ومن اسم العمارة كان اسم الحي.
- مارون مسك حيٌّ مكتظ حاليًا. كان أيضًا مساحات هادئة وسكانه الأوائل من آل مسك.
- كذلك حي ماضي، تعود تسميته أيضًا إلى عائلة ماضي التي سكنته قبل الحرب الأهلية اللبنانية.

في بدايات الحرب، غادر السكان المزارعون أراضيهم وبيوتهم الصغيرة، لتقوم مكانها عمارات من طوابق عدّة وصلت حي مار مخايل بالأحياء المجاورة، حتى تداخلت وضاعت الحدود بينها. تتبع هذه الأحياء إداريًا إلى منطقة مار مخايل. يبلغ عدد سكانها مجموعين حوالى 30000 نسمة.

في محاولة للحصول على خريطة عن المنطقة، يتعاون معنا الأستاذ

غسان ناهض، موظف قديم في بلدية الشياح، يطلعنا على الخريطة مشيرًا إلى مار مخايل التي تظهر الأصغر حجمًا بين المناطق المحيطة، والأقل بينهم من حيث عدد العقارات (بالتالي عدد السكان).

يحكي لنا ناهض، ويؤكّد لنا زملاؤه في المكتب، تفاصيل عن مار مخايل القديمة التي انتشرت حولها المساحات الفارغة، إضافةً إلى الأراضي الزراعية، ويشير لنا عبر شاشة حاسوبه إلى مارون مسك ومعوّض، ويصفها بعبارة «الأحياء الجديدة». المنطقة هنا بالنسبة إليه حديثة من الجهة الهندسية والمعمارية، ومن جهة التوزع السكاني والديموغرافيا.

يتّفق قدامى سكان المنطقة ومن جاورها أو اعتاد زيارتها على هدوءٍ سادها لأعوام، كما يتفقون على أن التغيرات التي قد طرأت عليها - ولا زالت - غيّرت وجهها وهُويتها، حتى السكان والوجوه، كلّها جديدة. «كنّا نروح مَشي من هون للسان سيمون، الغني بس كان عندو سيارة»، يقول لنا أحد سكان المنطقة القديمة..

عند جوانب الطريق، محال تجارية كبيرة ولامعة، محال استهلاكية، مواقف سيارات، وإشارات سير وزحمة. المنطقة هنا لا تشبه حكايا الناس.

خوف من سرد القصص

في أحد شوارع حي ماضي العتيق امرأة ينادونها «أم خالد». خمسينية، من السكان القدامى، تسكن في الطبقة الثالثة من عمارة قديمة، ألوان جدرانها باهتة وطلاؤها مهترئ. لا مصعد فيها، كأنها تصارع البقاء بين جيل من العقارات الجديدة. رَوى لنا جيران أم خالد أنها تمتلك

واجهة مار مخايل مبانٍ شاهقة وباطون مسلّح ومحال تجارية. ما إن تتسلّل عبر الأزقة الخلفية، حتى تكشف لك المنطقة عن وجهها الحقيقي: أبنية قديمة تحمل جدرانها آثار الحرب الأهلية وبقايا من رصاص وضربات القذائف.

مبنى قائم في منطقة مار مخايل لا يزال يحمل آثار الحرب الأهلية إلى اليوم

الكثير من الذكريات، وأنّها كنز حكايا، وأنّ من يرد فتح باب ماضي المنطقة ومحيطها، عليه زيارتها ومحاورتها. لكنَّ أم خالد، كآخرين كُثر من السكان هنا، توخَّت الحذر في الكلام عن ماضي المنطقة أو الإدلاء بأية معلومة، واكتفت بالقول إنها لا تمتلك الوقت لذلك. للمنطقة هنا قيمة أمنية وجغرافية، وقد تكون مصدر اهتمام لجهات متعددة لا تبغي الخير ولا الأمان.. سكان المنطقة أخذوا العِبر من خلال مراحل عديدة وقاسية، ومنهم من قرّر الانعزال عن كل ما يثير الشبهات، حتى لو كانت فرصة الكلام ستؤدي إلى رسم لوحة جميلة عابرة للزمن.. ضريبة الحذر باهظة.

تحوم حولك علامات استفهام وتعجّب لدى سؤالك السكان عن الماضي الذي مرّ هنا، وتثير ريبتهم عندما تصّرح لهم عن المُهمّة التي تنوي تنفيذها. المنطقة هنا غريبة عن هكذا تحقيقات، ولا تحظى عادةً بحشرية أو اهتمام بعيد عن الصبغة السياسية والأمنية التي تلتصق بها.

في وداع منطقة لم تعد موجودة

يمرّ التغيير كالعاصفة في بلادنا. يقلع كلّ ما هو قديم ويمضي. قلّما يتم الاهتمام بهوية المناطق وذكرياتها، قلّما يتم الترميم بصورة جميلة. الهدم وإعادة الإعمار خطوتان سريعتان لا تحظيان بالتفكير العميق ولا بالوعي الكافي، ولادراسة لتأثيرهما في تطوّر المجتمع.

يقتصر التطور هنا على المظاهر السطحية من الحداثة، بينما نجد في الدول المتقدمة الحرص على معاينة الأبنية القديمة، والاعتناء بالعمارات العتيقة، والاحتراس عند التعامل مع الحجر، لأنه يحمل ذكريات في تشقّقاته، ويبرز العمر الحقيقي للمدن وكلّ ما قطعته من أشواط.

مغادرة أزقّة مار مخايل القديمة باتجاه مدخلها المكتظّ بالأسواق والسيارات ونداء أصحاب الفانات، تشبه حالة الفصام. بين كل ما رواه السكان القدامى من حكايا، وكل ما شاهدناه في عيونهم من بريق وسعادة عند تذكّر قصص ورفاق الماضي، وواقع المنطقة اليوم، تشعر للحظة بأنَّك تدوس فوق هذه الذكريات، على زفت مجبول بضحكاتهم وبأيامهم السعيدة، التي لا دليل عليها سوى ما يقولون..

تغريد الزناتي: حائزة على ماجستير في الإدارة والمعلومات، وتعمل في قسم أرشيف جريدة الأخبار اللبنانية منذ العام 2013.
للتواصل عبر الإيميل: taghridzinaty@hotmail.com

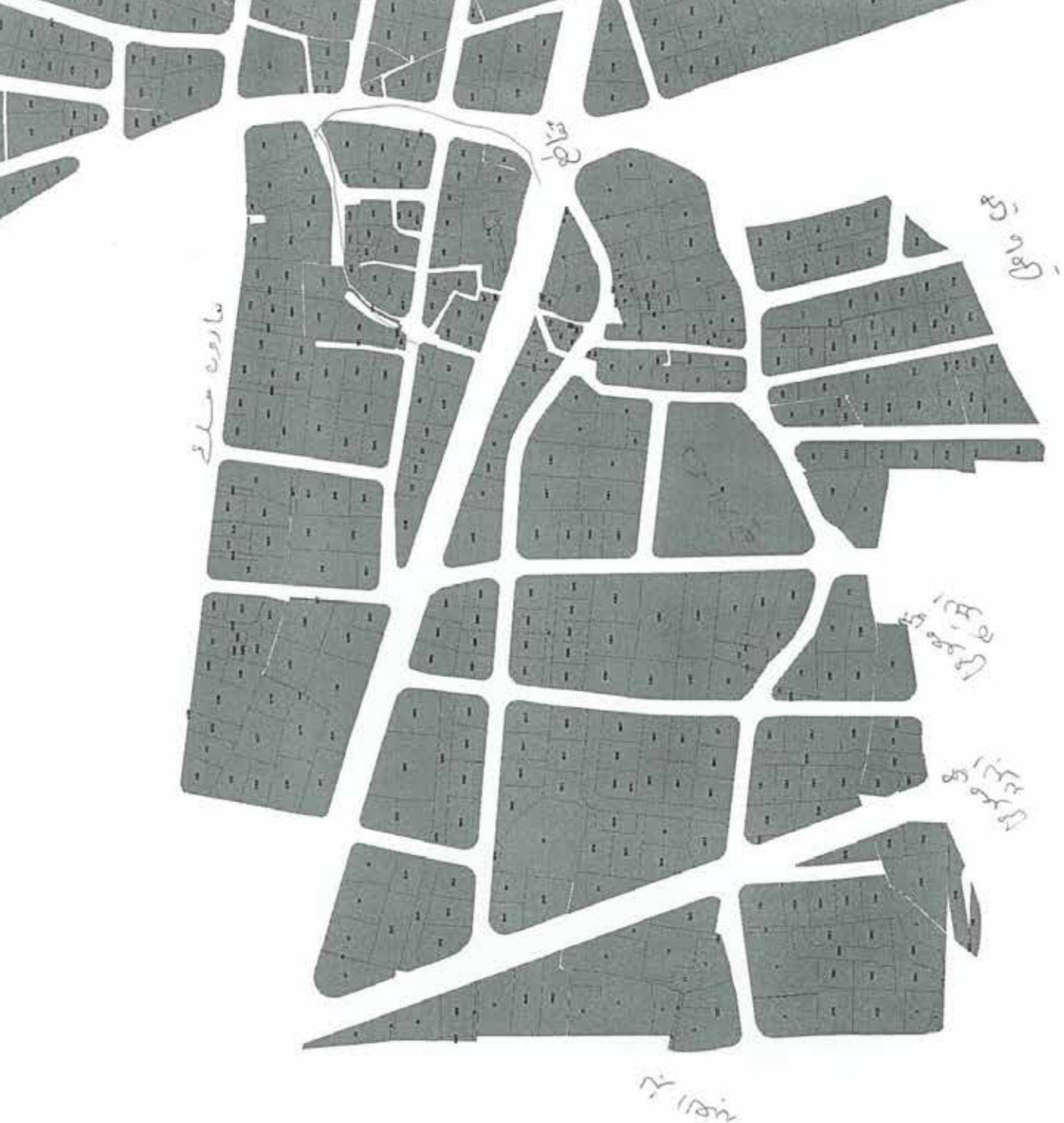

خريطة حديثة لمنطقة مار مخايل في الضاحية الجنوبية لبيروت

قصص وحكايا من بيت جدي

محمد طاهر العصفور

أن تتحدَّث عن المكان، فهو أن تستجلي ذاكرة مديدة، ولا سيَّما أنَّ المكان من المقولات العشر في أدبيات الفلسفة، وحيّز التاريخ الَّذي تناط به الأحداث، والجنبة الرومانسيَّة البارزة الملتصقة بالذات. وعليه، فإنَّك تُسمّر النظر في تاريخك، والتاريخ الَّذي صنع تاريخك، وإن كان تاريخك لا يشبه تاريخك، لأنَّك لا تمثّل نجابته المتعاقبة، فيجعلك تمارس الحنين إليه، شأنه شأن القديم الذي يشبه «الأنتيك».

ولأني أحمل اسمًا ارتبط تاريخيًا واجتماعيًا بالمكان، صرت أحنّ وأتحسَّر؛ أحنّ حنين الفاقد لتاريخه، وأتحسَّر لأني حتى هذه اللحظة تخلّفت عن الامتداد. كانت تلك الكلمات العابرات لصيقة بالذات، تعبّر في مكان ما عن حقيقتي، وكان مبرّرها الكشف عن ضرورة المكان الذي كان يمثّل عنوانًا معينًا على المستوى الاجتماعي والرومانسي. إنه، كما ذكرت، «بيت جدي» أو «بيت أجدادي»، إن شئت الدقة، بل بيت أهلي الذي مثَّل عنوان الانتساب إليه امتداد الذاكرة السحيقة التي تعاقبت على المكان.

المكان بيت محمد طاهر. هو جدي، ولكنَّ البيت يعود إلى أخوة ثلاثة، هم محمد طاهر وأخوه إبراهيم وأخته زهراء، ولكنه عرف ببيت محمد طاهر على التغليب. وقد كان لي أن انتسبت إلى إبراهيم أيضًا جدّ والدتي. يتميّز المكان - كما قيل قديمًا - «بالمكين»، ويُقصد به الشّخص الذي يملأ المكان بشخصيته وتمكّنه، وكان الأخوة جميعًا كذلك على مستوى الرجال والنساء من حيث البعد الاجتماعي، وكان محمّد طاهر يمثّل الركيزة الأساسية لهذا البيت.

من ملامح هذا الرجل، أنَّه كان ذائدًا عن قومه، غيورًا عليهم، وكثيرة هي الحوادث التي دلَّت على ذلك. يُحكى أنَّ الفداوية، ومفردهم «فداوي»، وهم على سبيل التقريب السفلة، كانوا من خدمة السلطان الَّذين يتخذهم لممارسة بطشه بالرعية، وكانت هذه الطبقة تسطو على الناس، وتضيّق عليهم في أرزاقهم، بل تمارس السلب والنهب، وتجور على الكسبة والباعة وأصحاب الحرف، بل حتى على المقتنيات في البيوت. ومن جملة مظاهر السّطو، أنهم كانوا

يسطون على باعة السّمك، حتى ضاق الناس بذلك وتداولوا أمرهم، إلى أن عرف محمد طاهر بن يوسف آل عصفور بذلك، فما كان منه إلا أن ذهب حيث يبسط الباعة، حتى إذا أتى «الفداوي» قاصدًا ممارسة السّطو والنهب، بادره جدي قائلًا: أبعد يدك، ثم أكمل واذهب إلى سيدك، وأخبره أنّ هذا «حلال بن عصفور». ويقال إنَّ الفداوية بعد هذه الحادثة انقطعوا عن هذه الممارسات في القرية.

ومن ملامح وهج رجولته، والتاريخ ينقلها، وقد قصّ لي أحد كبار السن حادثة أخرى كانت متداولة، أنّ أحد الفداوية سلب أحد البيوتات، فارتفعت الجلبة، وأسرع صاحب ذلك البيت إلى جدي محمد طاهر، فأدرك ذلك السالب الباطش، فعنَّفه وضربه، وأخذ منه ما سرق وردَّه إلى صاحبه. أما الفداوي، فذهب إلى المختار الَّذي كان مواليًا للسلطة الإدارية لتلك المنطقة، وأخبره أن محمد طاهر ضربه وعنّفه، فبادره قائلًا: «محمد طاهر ضربك! وهل تنتظر أن أُعرّض نفسي كذلك لما تعرَّضتَ له؟».

أما الحادثة الثالثة، فهي أنَّ عصابة من قبيلة الدواسر أرادت الانتقام ليلًا من بيت محمَّد طاهر، وكان إبراهيم وزهراء مستيقظيْن، وخشيا أن يتنبّه وينازل تلك العصابة من دون أن يأبه بها، غير أنّ نباح الكلاب والجلبة التي حدثت، صرفت الدواسر عن الهجوم على الدار. وتشي هذه القصَّة أنَّ الأخوين كانا قد جرّبا شجاعة أخيهما وإقدامه.

تلك كانت ملامح من شخصيّة محمد طاهر على مستوى الشجاعة في إجارة المستجير، وقد رُوي أيضًا عن جوده، أنّه لا يكاد يوم يمرّ من دون أن يفتح مجلسه لقرى ضيف أو عابر سبيل، وكان ذلك مرهونًا بيساره، ولا يمنعه من ذلك إلا القلّ والفاقة.

يتميّز المكان - كما قيل قديمًا - بالمكين، ويُقصد به الشّخص الذي يملأ المكان بشخصيته وتمكّنه. كان الأخوة جميعًا كذلك من حيث البعد الاجتماعي، وكان محمّد طاهر يمثّل الركيزة الأساسية لهذا البيت.

أحد الأحياء المؤدية إلى بيت محمد طاهر العصفور في الدراز

أما العَلم الثاني لهذا المنزل، فهو جدي إبراهيم بن يوسف، وهو شهم كريم غيور، أحبّ أهل قريته وأحبوه وناصر الشباب ودعمهم، وكان ممن أرادوا انتشار الموكب الحسيني في الدراز، كما كان مثالًا لنصرة المستضعفين. ويقال إنّ سائق مستشار حكومة البحرين بلجريف، في بداية الخمسينيات، دهس أحد أبناء القرية بسيارته، فانبرى إبراهيم بن يوسف للدفاع عنه، وأخذ له بحقّه، وعيّن ذلك الشاب في وظيفة حكومية. ولقد مثّلت أختهم زهراء (عمتي) مكانة مرموقة بين النساء، وهي خادمة للإمام الحسين (ع)، فتحقّقت من خلال الأخوة الثلاثة صفة المكان بالمكين.

ذاك كان حديثي عن سكّان البيت. أما الآن، فكلامي عن البيت ذاته الذي يأخذ شكلًا مستطيلًا، ويتكوَّن من غرف عديدة، وفيه ثلاث بوابات كبرى، وبوابة لشبه غرفة تسمّى الدورية، ربما كانت مجلسًا، وتطلّ بوابتان منه على الجانب الجنوبي.

أما الدويرة، فتطلّ على الجهة الشرقية، ولقد ذكرنا أنَّ البيت يشتمل على بوابات ثلاث بمعزل عن باب الدويرة، وقلنا إنّ ثمة بوابتين من الجهة الجنوبية وبوابة ثالثة من الجهة الشمالية تسمى بوابة «الجفر»، وكأنهم كانوا يسمونها أيضا باب الشَّجرة، حيث تقع سدرة «الكنار» الشهيرة بقربه داخل البيت نفسه. أما الجفر، فيُسمّى «الجفر الحلو»، وهو لصيق بالبيت من الناحية الشمالية، وينتفع من هذا البئر العذب أهل قرية الدراز والقرى المجاورة، وقد شكّل مَعلمًا مهمًا من معالم القرية، ومكانًا تجتمع فيه النسوة من مختلف الثقافات، ووجهًا من وجوه التعايش المذهبي، حيث كانت نساء قرية البديع المجاورة، السنّية المذهب، ترتاد هذا البئر، وتنسج الأحاديث مع باقي النساء، وكم من نادرة سمعتها من أسلافي عن تلك الوقائع!

وكان أهل القرية جميعًا يجتمعون في كلّ عام لتنظيف البئر. وقد سمعت أنَّ الذي حفر البئر كان أحمد بن مدن العصفور* (خال الشيخ حسين العصفور العلامة). والشيخ حسين العلامة جد محمد طاهر الرابع من ناحية أبيه، فاسمه محمد طاهر بن يوسف بن محمد علي بن شيخ أحمد بن الشيخ عبد علي بن الشيخ حسين آل عصفور، وجده من ناحية أمه، وهي آمنة بنت نصر بن شيخ أحمد بن الشيخ عبد علي بن الشيخ حسين آل عصفور، وأبوها (نصر) تحدثت عنه المصادر البريطانية في وثيقة ظهرت مع أحفاده، بعد أن كلَّف باحثًا بالتنقيب عنها في الوثائق البريطانية قبل حوالى 250 عامًا.

تقول تلك الوثيقة: «نصر بن أحمد بن عبد علي آل عصفور، أُلقي القبض عليه في البحر، وسُجن في الهند، ومات هناك بعد أربعة أعوام من سجنه، وعاد خادمه بعد ذلك إلى البحرين».. تلك كانت رواية البريطانيين. أما الرّواية الَّتي سمعتها من أجدادي، فإنَّ الإنجليز دعوه إلى المفاوضات في البارجة، وحين أراد حراسه صحبته، قيل لهم إنها جلسة مفاوضات على ظهر البارجة، غير أنَّ البارجة تحركت وانقطعت أخبار الشيخ نصر، حتى ظهرت تلك الوثيقة قبل 15 عامًا من اليوم تقريبًا، كاشفةً مصيره (رحمة الله عليه).

ويبدو أنّ الشيخ نصر كان ذا نفوذ، وارتبطت باسمه حادثة، حيث كان له خال يدعى الحاج موسى، يمتهن تجارة اللؤلؤ (الطواشة)، فاستخار الله عصر يوم وفاة الرضا (عليه السلام)، ليذهب إلى قرية الجسرة ويشتري لؤلؤًا. وحين ذهب وابتاع ما أراد، عاد قافلًا إلى قريته الدراز، فباغته الذين اشترى منهم، وقتلوه في الطريق، وسلبوا ما في حوزته من مجوهرات، وقد أثَّر هذا في ابن أخته الشيخ نصر – وبالمناسبة كان الشيخ نصر جد منصور العريض الَّذي كان أيضًا يمتهن الذواقة - وقد أصدر الشيخ نصر بن شيخ أحمد تعليماته بإحضار قتلة خاله كلّهم، ونفَّذ فيهم القصاص، فقيل يومها: «آل عصفور عالمهم عالم وظالمهم ظالم»، ولا أعتقد أنَّها وجه من وجوه الظلم، فالرجل نفذ القصاص ورفض الدية، كما أنَّ الناس أغلبهم فرحوا بهذا القصاص، وقالوا منشدين: «كبد العرب طانة من حكم الشاخوري». والعرب

بيت محمد طاهر العصفور بعد تقادم الزمن عليه

يُقصد بهم البدو، وهم القبائل المتحالفة مع آل خليفة، وطانة أي متقطعة، والشاخوري نصر، لأنه استوطن الشاخورة... والحديث يطول عن نصر، ولكن ليس في هذا المقام.

وبالعودة إلى البيت، فإنَّ محمَّد طاهر كان يهتمّ أيضًا بسدرة الكنار، وكان يهدي من ثمرتها كلّ من يحب، من القاصي والداني، ولقد رأيت الكثير من الناس ينفضونها ليأكلوا من ثمرتها، ويقولون إنها متميّزة.

تلك بعض الملامح التي أتذكّرها عن بيت جدي محمد طاهر.

***أحمد بن مدن هو خال الشيخ حسين العصفور، غير أنَّ الشيخ في كتابه «المحاسن»، في حديثه عن الشيخ سليمان الماحوزي يصفه بجدّه، ويقول: «جدي لأمي»، فكيف يكون أحمد بن مدن خال الشيخ حسين وفق الرواية المتداولة شفهيًا! لعلَّه خاله أخو أمه غير الشقيق، أو خال أبيه، أو أنَّ الرواية هذه غير مضبوطة، والله أعلم.**

محمد طاهر العصفور: باحث بحرينيّ مهتمّ بالدراسات الأدبية واللغوية.

للتواصل عبر الإيميل: Mohamad.asfour@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ن الروائق بمعدقات الغوادق وفاتح مغالق
ابح السمح الوادق صابغ وجه الصعيد الاغبر
دم السقائق ضحاك الارض بالنور الاحم
ء بالمنعنج الدافق نافخ روح الزهور
ان المورق الملتف الفائق قالق الحب والنوى
ر وسان الشجر الشاهق منور النرجس
بالبذور والجبوب والطلح النضيد من
لاشجار والنخل الباسق مينع الثمار من
ون والعنب والرمان وسائر المطاعم للانا
ذرئه في الارض المصور الخالق ناظم تدبير
حكمة بجيرها لباب كل ماهر حاذق احمده
تعتبر واطرائه عالم بذهب النير فكر ولم يسبق
واشكره على نعم ابتدائها تفضلا منه
قاق ضنى بجعل منقدم ولا لاحق والشهد
انه وحده لاشريك له ولا عديل يعدل به
ر من شوائب النفاق فاصبح لحلى اذلال

استرواق مخلصة من نوائب الدهر وه
ودواهيه

ودواهي البوائق واشهد ان محمدا عبده ورسوله المخ
من الله الجليل بجلايل الفواضل وفواضل الجلائل
والمشرف من الرب العظيم على الاواخر والاوائل الذي
دني من ربه فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى وعرج
به على البراق السلم الاعلى فصلى بالملائكة في الضراح
وسمت له بالمقام الصراح والفضل الباذخ والبرق
السامق فبلغ ما امره الله به وصدع برسالته موضحا
دلالته بالبرهان الباهر والحق الفارق واللسان
الناطق والمعجز الخارق. منصورا بالرعب مؤيدا
بالقضب مهزا بالجند بالحسب البازخ والنسب الشارق
الهزبر الزابر والتميدع المبادر والاسد الكاسر في
العناصر والقرن الكاسر لشوكة العسكر امام العالمين
المغارب والمشارق صلى الله عليه وآله الشجرة الط
والاصل الاصيل والدوحة المثمرة بالحسب الجليل واصح
الذين ابتعواطرائقه واقتفوا سننه وساندوا شر
بالاعتقاد الجازم واللسان الصادق وبعد فاعلم ان
الله في سالفة ضميري وعاطفة خاطري ان اذكر وط
ببعض اثارها واحرر في هذه الورقات نزرا من اخباها

ولاجودة التحرير والله الموفق الهادي فاعلم ان البحرين

الورقة الأولى من مخطوطة كتاب «حاضر البحرين» للشيخ إبراهيم المبارك

كشكول

«حاضر البحرين» للشيخ إبراهيم المبارك.. يوميات الأيام الخوالي

وسام عباس السبع

لم أكن لأفكّر يومًا بأنَّ صلتي بتراث البحرين وتاريخه الثقافي والاجتماعي ستقودني إلى دخول ميدان متّسع الآفاق، واسع الأكناف، متشعّب المسارب، وأنَّ كلّ ذلك سيتم من خلال بوابة "تحقيق النصوص"؛ هذه الصلة التي نمت وكبرت وتحوَّلت من رغبة تلقائية وبسيطة في اكتشاف المعرفة إلى هاجس يوميّ يقارب الالتزام، وإلى ارتحال فكريّ شيّق تأخذني فيه زوارق الزمن إلى بحار النصوص العتيقة التي خلّفها بعض النابهين من علماء البحرين، من الَّذين كانوا يستشعرون قيمة التاريخ كعنصر رئيس وحيويّ من عناصر بناء الهوية، في وقت كانت هذه الاهتمامات تعدّ – في عرف الأغلبية الساحقة – من الأمور الترفيّة.

كنتُ قد بدأت في تحقيق كتاب "عقود اللآل في تاريخ جزائر أوال" لمحمد علي التاجر (ت 1387هـ/ 1967م)، ووجدتُ نفسي مُنساقًا إلى رغبة لحوحة تستحثّني على إكمال ما بدأتُه في "العقود"، من خلال التورط في مهمّة جديدة في تحقيق عمل آخر لا يقلُّ أهمية عن الكتاب الأول، وهو كتاب "الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر" لمحمد علي آل عصفور (ت 1365هـ/ 1945م)، وما إن شرعت في الكتاب الأخير حتى استقرّ عزمي على المضيّ في هذا الطريق حتى نهايته، وكان الكتاب المنتخب هذه المرّة كتاب "حاضر البحرين" للشيخ إبراهيم المبارك (ت 1399هـ/ 1979م). وبهذا تكتمل سلسلة تاريخيّة يصحّ أن تُوصف بأنها المصادر الكلاسيكية الأكثر شهرة وأهمية لتاريخ البحرين الاجتماعي والثقافي والديني والأدبي، وهي مصادر تعرّضت مع الأسف لضروب من الإقصاء والتهميش لعقود طويلة، لأسباب أتصوَّر أنَّ الأغلبية في البحرين أو العارفين بالشأن البحريني تفهم دواعيها وأسبابها.

الشيخ المبارك: ملامح السيرة

هو الشَّيخ إبراهيم ابن الشيخ ناصر الحاج عبد النبي بن يوسف بن إبراهيم بن الشيخ مبارك الهجيري التوبلاني البحراني. وصفه التّاجر بـ "العالم، الفقيه، النبيه الفاضل، الأديب الكامل، الكريم الفاخر"[1].

وقرية "الهجير" الَّتي وُلد فيها الشيخ، هي الموطن الأمّ لعائلة آل مبارك جميعها. هاجر الشيخ المبارك إلى قرية "عالي" سنة 1349هـ/1930م، حيث ابتدأ فيها معلمًا قبل سفره إلى النَّجف وعودته ليعيش فيها بقيَّة حياته. تزوَّج سبع نساء، وأنجب من الأولاد خمسة عشر، أكبرهم أحمد (حميد)، والشيخ علي، ومرتضى، وعباس، وجواد، وعبد الهادي، ومجيد، والشيخ حميد، ومحمد، وجميل، ومنصور، وناصر، وحسين، وعبدالله، ومحسن. وتمخَّض من أولاده لطلب العلم اثنان، هما الشيخ علي والشيخ حميد.

حاز الشَّيخ إجازات من جمع من علماء النجف الأشرف في الاجتهاد والرواية، كالشيخ عبدالمحسن ابن الشيخ حسين الخاقاني، والشيخ جاسم (قاسم) بن هادي الخاقاني، والشيخ عبد المنعم بن عبد المحسن الخاقاني. وتولّى الأمور الحسبيَّة وإقامة صلاة الجمعة.

وقد تتلمذ عليه واستفاد من مجالسه جمعٌ كبيرٌ من فضلاء البحرين، منهم الشيخ أحمد العصفور (ت 2014م)، والشيخ سليمان المدني (ت 1424هـ/ 2003م)، والشيخ حسن مكي الغريب، والشيخ علي عبدالله الشهركاني، والخطيب الحاج عثمان عبدالله العالي، والشيخ حسن الكرزكاني...

وقد ساعده عزوفه عن المناصب الرسميَّة، ومنها القضاء، على التفرّغ للعمل التبليغيّ والنهوض بأعباء إرشاد الناس، ورغم أنَّه "كان من أوائل النخبة التي عُرض عليهم تولّي منصب القضاء، فإنَّه رفض العمل في سلك القضاء، وفضّل التفرّغ للتعليم والإرشاد والخطابة، بعيدًا عن المناصب الحكوميَّة. ومع ذلك، فقد كانت علاقته مع العاملين في سلك القضاء قائمة على الاحترام والتقدير، لما كانوا يقومون به من خدمة للدّين والوطن"[2].

مصنّفاته وشعره

كان (ره) - مضافًا لما يتمتَّع به من واسع علم وإحاطة بمختلف العلوم الإسلاميَّة – صاحب قريحة شعرية تفتّق عن أكمامها شعر جمّ، وأدب رفيع كما تجده في شعره، وكان يضمّن الحكمة فيه. وربما كان لاسم الجزء الأول من ديوانه "فلسفة الحكمة" مغزى لا يُخفى، وكان يتفنَّن ويقحم نفسه في كلّ الأغراض الشعرية، وكان له ديوان شعر ألَّفه أيام دراسته في النجف أسماه "السوانح النجفية"، غير أنَّه مفقود...

يوصف أسلوب الشيخ المبارك الشعري بأنَّه "تقليديّ محض، وكذلك أغراضه الشعرية، وإن كان في بعضها طرافة، كمحاولة نظمه بعض المفردات الإنجليزية، وإبراز معانيها على سبيل التورية، وهي محاولة جد طريفة لم أعهد بمثلها لدى شاعر آخر"[3]، كما يقول النويدري.

للشَّيخ مجموعة من المصنّفات في مختلف العلوم الإسلاميَّة من الفقه والمنطق والكلام واللغة، مما تشهد له بعلو كعبه فيها، وسعة اطلاعه، ووافر علمه، ودقّة نظره، وتبلغ مصنفاته 22 مصنفًا بحسب ما سطر قلمه الشريف على ظهر ديوانه الكبير، من بينها "عمود الدين"، "الدليل الواضح"، "منظومة في العقائد"، "المسائل"، "النور المشرق في أحكام المنطق"، "الأضداد"، "حاضر البحرين"...

في يوم الخميس الرابع من شهر رجب 1399هـ/ 1979م، استيقظ الناس في قرية سكناه "عالي" في البحرين على خبر ارتحال العلامة الجليل، وقد شيّع جثمانه الطاهر تشييعًا مهيبًا وحزينًا حضرته جميع الطبقات من مختلف مناطق البلاد، ودفن في مقبرة عالي، وشيّد على قبره بناء تعلوه قبة خضراء.

خصوصيَّة حاضر البحرين

لا ريب في أنَّ كتاب "حاضر البحرين" هو أحد الكتب التي اكتسبت خصوصية بالغة في التراث الديني والثقافي البحراني لاعتبارين؛ الأول هو حساسية الموضوع الَّذي يطرحه الكتاب، وما يمثّله من أهمية بالنظر إلى ندرة المدونات التاريخية المحليّة، ليس في النصف الأول من القرن

العشرين الماضي فحسب، بل في مجمع حقب التاريخ البحراني. أما الاعتبار الثاني، فيتمثَّل في مكانة مؤلفه الشيخ إبراهيم المبارك، الذي كان أحد أبرز علماء الدين الذين ساهموا بدور كبير على الصعيد الديني والاجتماعي منذ الربع الأول من القرن العشرين وحتى الربع الأخير منه.

يتضمَّن الكتاب توثيقًا تاريخيًا شيّقًا لجملة من المواضيع المتعلّقة بتاريخ البحرين، مع تركيز خاص على الفترة الممتدة من أوائل القرن العشرين حتى عقد الستينيات منها، ويدرس فيه المؤلف جملة من العناوين، هي: حُكّام البحرين، بلدان البحرين، المزارات في البحرين، الجمعة في البحرين، القضاة في البحرين، المدارس الدينية، أئمة الجماعة، من شعر المؤلف، الأنواء في البحرين، الأوزان والعملة.

لا نعرف متى - على نحو الدقّة - كتب المبارك كتابه، فقد ترك السطر الأخير من الكتاب فارغًا حين أشار إلى فراغه، كما أننا لا نعلم الوقت الذي استغرقه في الكتابه، لكنَّ الأكيد أنه عمل فيه سنوات طويلة تزيد على التسع، إذ نلاحظ أنه كان منشغلاً في كتابة الكتاب في العام 1382هـ/1962م.

وقد استمرّ المؤلف في جمع مادته وتدوين ملاحظاته حتى مطلع سبعينيات القرن الماضي، ففي ترجمته للشيخ عيسى التاروتي، يذكر أنّ وفاته كانت سنة 1391هـ/1971م، وبهذا نعرف أنه - حتى هذه السّنة - كان يعمل على جمع المعلومات ويدوّنها في كتابة.

ونستنتج من ذلك كلّه، أنَّ الشيخ إبراهيم كان يُدوّن فصول الكتاب في أوقات متفرّقة ومتباعدة. وتكشف دقّة التواريخ، وطول المُدّة التي جمع فيها المادة العلمية لكتابه مقارنةً بحجم الكتاب، أنّه كان حريصًا على تسجيل أغلب الأحداث التي دوَّنها أوان حدوثها مباشرة.

يعدّ كتاب «حاضر البحرين» وثيقة تاريخية مهمة، لا تكمن أهميتها فقط في التركيز على تاريخ النشاط الديني، بل في كشف النقاب عن كثير من الحقائق الاجتماعية التي تطرح لأول مرة بهذا القدر من الوضوح.

الشيخ إبراهيم المبارك (1908 - 1979م) أحد أبرز علماء الدين في القرن العشرين

حاضر البحرين أم ماضيها؟

ورغم أنَّ الكتاب قد طُبع لأول مرة بعنوانه الصحيح "حاضر البحرين"، فإنَّ اسمًا آخر له كان قد شاع وذاع في أوساط المهتمين، حتى كاد يطغى على الاسم الأول، وهو "حاضر البحرين وماضيها"، وقد تكون للتسمية المحدثة مبررات وجيهة، فما كان في الستينيات حاضرًا أصبح اليوم ماضيًا بالنسبة إلينا، والكتاب – في كلِّ حال – يطرح فعلاً بعض المعلومات الَّتي تقادم الزّمن عليها وطال، ولكن تبقى أن التسمية الصحيحة للكتاب، كما وضعها المؤلف، "حاضر البحرين".

والحقّ أنَّ كلمة "حاضر" التي أضيفت على عنوان الكتاب لم تأتِ من فراغ، فقد أشار المؤلف إلى أنه ينوي أن يُلحق بالكتاب "حاضر البحرين" كتابًا آخر يهتمّ بـ "ماضي البحرين"، ليكون القسمان كتابًا واحدًا يحمل هذا الاسم. يقول في الكتاب: "وكان السّلف الماضون قد اهتمّوا بها وبحثوا عن ماضيها، بما فيه من تاريخ وحوادث ورجال وعلماء وأشراف، إلى زمن قريب، فسنح لي أن أذكر في هذا الكتاب ما تيسّر لي تتمّةً لما ذكروا من الماضي وانتهوا فيه إلى قريب من الحاضر، ليتّصل حاضرها بماضيها، ولعلّي - بعد أن يأذن الله لي ويشاء - أعود إلى الماضي بنظرة أخرى، فأجعله كجزء أول لهذا الكتاب، فيستحقّ أن يُسمّى الجميع "ماضي البحرين وحاضرها"، والأمر يومئذٍ لله"[4].

لكن ما وعد به الشيخ لم يفِ به مع الأسف، ربما لأنَ القدر لم يُمهله كي يفعل، وربما تكون مهام الزعامة الدينية التي نهض بها حالت دون تنفيذ أمنيته تلك. بل وحتى في حدود كتابه الحالي، وعد قرّاءه بذكر بعض الأحداث لكننا لم نرَه يذكرها.

ويتحدَّث المؤلف بالتفصيل عن حياته في الفصل الذي خصَّصه عن "الجمعة في البحرين"، وتتخلَّل فقرات الكتاب وفصوله بعض المواقف والأحداث التي كان المؤلّف واكبها أو كان طرفًا فيها أو سمعها ممن كان على صلة بها، في أسلوب استذكاريّ أشبه بالتداعي الحُرّ، وسرد الذكريات، وتختلط في كلّ ذلك الانطباعات الشخصية بالمعلومة المحايدة، والخبرة الشخصية المباشرة بالاقتباسات المنتزعة من الكتب، والشعر بالنثر، والفائدة العلمية بالطرفةوالحكاية.

صحيحٌ أنَّ المؤلف لم يُخصّص فصلاً متعلقًا بتراجم علماء الدين والأدباء والشعراء، مخالفًا بذلك من سبقه في الكتابة عن تاريخ البحرين، إلا أنه طعّم الكتاب بنبذٍ قصيرة عنهم متى ما دعت الحاجة إلى ذكر أحدهم، فنراه يتحدَّث عن صفات هذا العالم أو ذاك، وإلى مكانته العلميَّة بكلمات موجزة، من دون أن يغفل مؤلفاته وما إذا كان شاهدها هو شخصيًا مطبوعةً أو اطَّلع عليها.

ويمثّل الكتاب الحالي خروجًا عن السّياق العام الَّذي كانت كتب التاريخ والتراجم البحرينية تَتَرسّمه، وخصوصًا في تجاهلها الصارم للنساء، ذلك أنَّ المؤلف يُحسب له أنه – وهو من كبار علماء الدّين - أوَّل من تعامل مع هذا الموضوع بأريحيَّة ومرونة وانفتاح، فكان أن حضرت المرأة لأول مرة – باسمها الصريح - في كتاب تاريخي بحرينيّ، بوصفها زوجةً وأمًّا وأختًا.

ويُولي المؤلف عنايةً خاصّةً بالأوائل، وهو اهتمام قديم له حضور في التراث الأدبي العربي والإسلامي، وهذه ربما من أظهر مزايا الكتاب التي تُكسبه أهميةً تاريخيةً مضاعفة. ونلاحظ أنَّ الكتاب يضمُّ معلومات على جانب كبير من الأهميّة عن المجمع البحريني في الفترة الممتدة من عشرينيات القرن الماضي وحتى منتصف الستينيات.

مصادر الكتاب

اعتمد الشَّيخ المبارك في كتابه على طائفة من الكتب والمصادر المتعلقة بالتاريخ الإسلامي العام وكتب التراجم، لكنَّه قليل العناية بذكر هذه المصادر، وربما يرجع ذلك – في جزء منه - إلى عنايته الواضحة بالتأريخ لأحداث عايشها وشهدها شخصيًا. من هنا، نراه يفسح مساحة واسعة من الكتاب للرواية الشخصية للأحداث التي واكبها أو سمعها ممن كان طرفًا فيها، وتكثر في الكتاب طائفة واسعة من المسموعات والصّيغ التي تفيد

بهذا المعنى. ونعثر على شواهد كثيرة في الكتاب يقدّم فيها الشيخ إبراهيم خبرته ومعلوماته الشّخصيّة.

ولم يمنعه كلّ ذلك من الاستفادة من بعض المصادر والكتب التي استعان بها في وضع كتابه، وبعض هذه الكتب كان قد صرّح بذكرها، وبعضها لم يصرح، والأمر المؤكّد أنه استفاد من كتاب صديقه الحاج محمد علي التاجر (ت 1387هـ/ 1967م) "عقود الآل في تاريخ أوال"، الذي استفاد بدوره من كتاب "التحفة النبهانية" للشيخ محمد النبهاني (ت 1369هـ/ 1950م)، من دون أن يُصرّح صاحب حاضر البحرين بذلك.

هذا مع الإقرار باختلاف الدافع والمنهج عند الثلاثة، ففي حين كان هدف النبهاني تسجيل التاريخ السياسي لآل خليفه وإبراز انتصاراتهم العسكريَّة، بدا عمل التاجر أكثر توازنًا في تقديم تاريخ أكثر قربًا من نبض المجتمع والناس، بينما كان هدف الشيخ المبارك - في كلّ فصول كتابه - تقديم مادة تاريخية ترتكز بشكل كبير على النشاط الديني في البحرين وإبراز أدوار أعلامه ورموزه في الحياة العامة.

أما الكتب التي صرّح المؤلف بالاستفاده منها ونقل عنها نصوصًا، فهي: ديوان أبو البحر الخطي (ت 1028هـ/1618م)، "المنتخب" لفخر الدين الطريحي (ت 1085هـ/ 1674م)، "لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين" للشيخ يوسف العصفور (ت 1186هـ/ 1773م)، "كشكول" الشيخ يوسف أيضًا، و"أنوار البدرين" للشيخ علي بن حسن البلادي (ت 1340هـ/ 1922م). ولم يكتفِ المؤلف بالنقل الحرفي من هذه المصادر، بل نراه في حالات يسيرة ينتقد ويصحّح.

وثيقة تاريخية مهمّة

يعدّ كتاب "حاضر البحرين" بحق وثيقة تاريخية مهمة، لا تكمن أهميتها فقط في التركيز على تاريخ النشاط الديني، بل في كشف النقاب عن كثير من الحقائق الاجتماعية التي تطرح لأول مرة بهذا القدر من الوضوح، من قبل أحد علماء الدين الكبار الَّذي عاش في فترة حرجة من تاريخ البحرين.

ومن أبرز القضايا التي تظهر بوضوح في الكتاب وتطرق إليها المؤلف بإيجاز، هي قضية الهجرة الداخلية والخارجية... ويكشف الكتاب عن جزء كان خافيًا من التاريخ الصحّي في البحرين في الربع الأول من القرن العشرين، إذ نعرف منه أنَّ الجذام والجرب كانا من الأوبئة المستشرية بشكل كبير في أوساط أهالي البحرين، ولمّا وجُد التتن أمر الشيخ عبد الله الستري الناسَ بالتدخين، وخصوصًا لمن وُجد فيه مقدّمات هذا المرض، فخفّت وطأتهما وندر وجودهما. والقليل من يعرف أنَّ الشيخ إبراهيم نفسه، قد زاول الطبابة ونجح في إجراء بعض العمليات الجراحية لمعالجة بعض الأمراض، ويحدّث بنفسه عن بعضها في الكتاب.

المراجع:

1. التاجر، محمد علي: منتظم الدرين 1 / 57.
2. مقدمة علي آل مبارك لـ "الأعمال الشعرية الكاملة" للشيخ إبراهيم المبارك، ص 23.
3. النويدري، سالم: أعلام الثقافة الإسلامية، ص 364.
4. حاضر البحرين (المخطوط)، ورقة 7.

وسام السَّبع: باحث بحريني متخصّص في التاريخ، يعدّ أطروحة دكتوراه حول تاريخ المدارس الدينية في البحرين. أجرى الكثير من المقابلات مع اختصاصيين في التاريخ والتوثيق، وصدرت له أربعة كتب.

للتواصل عبر الإيميل: wessamabbas@gmail.com

الزجل.. حافظ تراث اللبنانيين وابن الناس الطيبين

غنى مونّس

«ما زالت الحكايات المحكية أو المكتوبة بقوالب الأدب الشّعبي، أيسر سبل التّفاهم، فلا بدّ من أن يكون هناك بطل أو أبطال، توضع على ألسنتهم أبلغ تعابير الحكمة والحق والجمال المتفق عليها بين النّاس على اختلاف مستوياتهم» [1]، وقد برز في السّاحة اللبنانية فرسان قدموا هؤلاء الأبطال في قالب من الشّعر الشعبي، ووثّقوا أدب النّاس، وأدب البلد، وأدب التّاريخ، باللّغة المحكية، فاستحقوا عن جدارة لقب «فرسان الزّجل في لبنان».

هذا الشعر ميزة أبناء البلد، «أبناء لبناني هم الذين يسكبون أرواحهم في كؤوس جديدة، وهم شعراء الفطرة الذين ينشدون العتابا والمعنى والزّجل» [2]، وفقًا لجبران خليل جبران، فعنده «أنّ في الموّال والزّجل والعتابا من الكنايات المستجدة، والاستعارات المستملحة، والتّعابير الرّشيقة المُستنبطة، ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد المنظومة بلغة فصيحة، لبانتْ كباقة من الرّياحين بقرب رابية من الحطب، أو كسرب من الصّبايا الرّاقصات، قبالة مجموعة من الجثث المّحنطة» [3]، مصدقًا بذلك أبيات أحمد شوقي:

والشعر إن لم يكن ذكرى وعاطفة

أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

هذا الزّجل ذاته هو «ابن القرية، ابن النّاس الطيبين، هو ذاكرتهم، سجلّ حكاياتهم، مرج مخيلتهم، وملعب أحلامهم» [4]، وقد فسّر طليع حمدان، أحد أبرز فرسان الزجل، مع آخرين، هذا بالرّدّات والقصائد، فعبروا عن خبايا هذه الذّاكرة، بكل أنواعها، خبايا الإنسان بوجدانه وعاطفته وحبه ومشاعره، وخبايا الحكايا العالقة بين الناس، وخبايا التاريخ، والذاكرة الشعبية، ليوثقوها في قالب لم يخلُ من اللّطافة والبلاغة والفكاهة في آن معًا.

عين على الزجل

قبل كل شيء، لا بدَّ لنا من الاطلاع على الزجل، ماهيته، قوالبه، وهو نوع من أنواع الشعر العامي، له صروفه وأوزانه وموسيقاه، ويقول البعض إنّه لا يُفهَم إلا إذا غُنّي. وقد عُرِف في بلاد العرب، وامتدت أصوله في التّاريخ، حيث إنّ كلّ شعر منظوم بلهجة محكية في أي بلد عربي.

في لبنان، أطلق اللّبنانيون كلمة «المعنى» على الزّجل اللّبناني المغني، وأطلقوا لقب «القوالين» على ناظميه، وكانت هناك «مشيخة» للقوالين، فلا يكون القوّال شيخًا إلا إذا تفوّق على أقرانه بالارتجال والصّوت الجميل والشّكل الحسن.

ومن أبرز قوّالي الزّجل في لبنان، زين شعيب وطليع حمدان وخليل روكز وشحرور الوادي، وقد كان الأخير، واسمه الحقيقي «أسعد الخوري الفغالي»، من أشهر قوّالي زمانه، حتى بدأ بعض المعجبين بأدائه المتألق يطلقون عليه لقب شاعر، وجاء من يقول إنَّ شعراء الفصيح ينكرون على القوّالين لقب شاعر، فكان ردّه بليغًا:

أهل الفن شهدوا للمْعنى

غنائي وإرتجالي. وإن تغنى

على المنبر بصهوتنا تكنى

وإذا شي شاعر علينا تجنى

غضضنا الطرف حتى الشعر يبقى

إلو حِرمي وكرامي في وطننا

طه حسين يختبر الزجل في لبنان

لطالما كان الزّجل حاضرًا في المدح والرثاء، والانتخابات والتكريمات. ومن أطرف ما ورد في هذا المجال، ما حصل مع الأديب المصري طه حسين، فقد ورد أنّ بعض رجال الفكر في مصر كانوا قد تنادوا إلى إقامة حفل تكريم لشاعر القطرين خليل مطران، وجاء من يريد الاستئناس برأي الملك فاروق، الذي قال عندما قرأ اسم الدّكتور طه حسين بين أسماء أعضاء لجنة التّكريم: «إيه الأعمى ده!!!».

وعلم طه حسين بكلام فاروق، فقال: «لم أكنْ أظنّ في حياتي أن تنالني مثل هذه الإهانة، وفي بلدي، وفي مثل هذه المناسبة»، واكتفى بالانسحاب من لجنة التّكريم.

وكان أن قدم طه حسين يومًا إلى لبنان، فأكرمه شعراء ذلك الزّمان وأدباؤه بما يناسب مكانته في دنيا الفكر. وقد بلغه أنّ شعراء الزّجل عندنا يرتجلون الشعر الشّعبي ويغنونه، حسب مقتضى الحال، فطلب أن يختبر الأمر بنفسه، وجيء به إلى حيث كانت فرقة «شحرور الوادي» تقيم إحدى حفلاتها. وما أن أطلَّ بطربوشه الطويل، ونظارتيه السّودواين، حتى انتبه أحد الحاضرين وهتف: أهلًا وسهلًا بطه حسين!

وأخذ المبادرة شحرور الوادي مرحبًا:

أهلا وسهلا بطه حسين

ربي أعطاني عينين

العين الوحدة بتكفيني

خذلك عين وخلي عين

وضجت القاعة بالتّصفيق، وراح الجميع يرددون: «خذلك عين وخلي عين»، إلى أن وقف علي الحاج، الشاعر الثاني في الفرقة، منافسًا إيّاه:

أهلا وسهلا بطه حسين

بيلزملك عينين تنين

تكَرَّم شحرور الوادي

منّو عين ومنّي عين

وتناول الرّدة أنيس روحانا، الشّاعر الثالث في الفرقة، وقال:

لا تقبل يا طه حسين

من كل واحد تاخذْ عين

بْقَدِّملَك جوز عيوني

هْدية، لا قِرضة ولا دين

وختم طانيوس عبده، الشاعر الرابع في الفرقة التّرحيب ممعنًا في مدح الضيف المصون:

ما بيلزَمْلو طه حسين

عين... ولا أكثر من عين

الله اختصو بعين العقْل

بْيِقشع فيها عالميلين[5]

الزّجل بين الذاكرة والناس

تطرَّق شعراء الزّجل في «رداتهم» إلى الكثير من المعاني، وكانوا يصولون ويجولون، مرتجلين في أغرب المواقف وأصعبها، فتناولوا الغربة والوحدة، وغيرها من الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومفاهيم الحياة والموت والوحدة وما إلى ذلك.

أما في السّياسة، فكان لهم صولات وجولات يحفظها التّاريخ، وثّقوا بها أبرز المراحل التي شهدها لبنان، فمثلًا، إبان حكم العثمانيين لبلادنا، درجت سياسة «فرق تسد» في حكمهم، فكانوا لا يوالون زعيمًا حتى يستدرجوا سواه إلى الموالاة حسب أهوائهم ومصالحهم.

وعند ظهور جمعية «تركيا الفتاة» على مسرح الأحداث في سلطنة بني عثمان، ظن الناس بها خيرًا، ولعل الأمير مصطفى أرسلان (وكان حاكمًا في لبنان آنذاك) توقَّع أن تكون سياستها إصلاحية، لكن سرعان ما بدا أن جماعة «تركيا الفتاة» كانوا لا يحفظون من إرث سلاطينهم غير سياسة «فرّق تسد».

وفي هذا الإطار، ينقل سلام الراسي أنَّ أباه يونس وجَّه في إحدى المناسبات ردة زجل إلى الأمير مصطفى أرسلان، لعلها تلقي ضوءًا على مفهومه لتركيا الفتاة:

صيف وشتا عسطح واحد مهزلة

يا مير لازم تفقي هالدملة

ظنيت تركيا الفتاة كانت فتاة

لاقيتها من الأصل طلعت أرملة

وفي أعقاب انتخابات 25 أيار/ مايو 1947، الأولى بعد الاستقلال، وكانت من أشهر الانتخابات النّيابية في تاريخ لبنان، لما تخللها من تزوير وتلاعب وإرهاب، راجت ردة زجل تُذَكرنا بما حدث يومذاك:

يا حِسني بعد اللي صار

في خمس وعشرين أيار

صرنا بعهد الاستقلال

نترحم عالاستعمار

وهذه الردة لها حكاية معتبرة مفادها أنّ المحامي حسني أبو ظهر من صيدا، كان قد رشّح نفسه للنيابة في انتخابات 25 أيار/ مايو المشهورة. وعند فرز الأصوات، تبين أنّه لم ينل صوتًا واحدًا، فتساءل: «عائلتي أكبر عائلة في صيدا، ولو فرضنا أنّ عائلتي خانتني، فأين

صوت زوجتي؟ ولو فرضنا أن زوجتي هي الأخرى لم تصدق معي، فأين صوتي؟».

وصارت هذه الحادثة حديث الناس في ذلك العام. وقد تصدى لها الشاعر الشعبي «عباس الحاروفي»، نسبة إلى قرية حاروف الجنوبية، وأرّخها بهذه الرّدة، التي سرت بين الناس، حيث إنَّ هذه الانتخابات كانت أول انتخابات تجري في عهد الاستقلال، والأسوأ في جميع العهود، فكان اللبنانيون، كلَّما تذكروها، يرددون هذه الأبيات. وتشهد دواوين الزّجل اللبناني الكثير من الحوادث المماثلة.

للحرب في الزّجل نصيب

اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية في أعقاب حادثة عين الرمانة الدامية في نيسان/ أبريل 1975، والتي كانت العاصفة التي دمَّرت سدود التّعايش بين اللّبنانيين، وأغرقتهم في طوفان من الدموع والدماء.

وخلّد الشاعر الشعبي كميل خليفة واقع الحال في هذه الأبيات:

إبدا بعين الرّمانة

بالتّاريخ خلَيفاني،

بدنا نوح بفلكو نسوح،

بهالطوفان اللبناني

ولبيروت نصيبها أيضًا، يخاطبها الشاعر عجاج المهتار من كندا، فيقول:

بيروت يا بيروت! لا تحرمينا طيبْ أنفاسك

خلّي التّصافي، متل ما كان، طولْ الدّهر، نبراسك

"اكتب، على مسؤوليتي، أنّ ناظم هذه الرّدة من الزّجل هو معلّمنا جميعًا في كتابة التّاريخ". الدكتور أنيس فريحة

جوقة زغلول الدامور الزجلية

بترتاح أصوات المآذن حولْ أجراسك

ولا تِسألي عمّا جرى، ومين دمّر صروحك

إن دمَّروا ما دمّروا... ما دمّروا روحك

بيروت يا بيروتْ، قومي لملمي جروحك

وعن الحرب الأهلية اللبنانية، والواقع الاقتصادي المرير الذي تلاها:

سبعتعشر عام فوضى واقِتتال

بعدها، رخصت كرامات الرجال

جِبْلي مواطن آدمي وحر وتقي

وقادر يعيش اليوم، من «قرش الحلال»

حفظ الذاكرة

أدى الزجل دورًا كبيرًا في حفظ الذّاكرة اللّبنانية في بلاد الاغتراب، ومن أبرز ذلك ما رواه لفيف من الجالية المرجعونية في البرازيل لسلام الراسي عن بعض ذكرياتهم قبل اغترابهم.

أحدهم ترك بلدته جديدة مرجعيون عندما هاجمها الثوار سنة 1925 وأحرقوا بعض بيوتها، غير أنّه ما زال يذكر ردة من الحداء لها علاقة بما حدث في ذلك العام:

بارودتي حبوبتي

يحْلالي لبس جْنادها

نار الحرايب عَلَّقت

غطّاس كان سْبابها

وهو أيضًا [الزّجل] يوثق مشاعر أهلها في غربته، ومن أبرز ما قيل في هذا المجال عن حب الوطن:

جبت الدوا للشفا، أضنى الدوا بحالي،

همي وهم الوطن بيظل في بالي

بدي دوا للدوا، بدي صبر أيوب

ما أرخص الموت، لولا ما الوطن غالي

كما يوثق رسائل المغتربين إلى أهلهم، فيخاطب المغترب أمه، على لسان الشاعر اللبناني موسى زغيب:

باعت الك مكتوب يا امي

حامل عذابي بغربتي و همّي

مشتاق لجناحك الـ كان يضم

قلبي ويزرع ضحك عا تمي

ريح الدني بتفرط ... وما بتلم

وانتي صغار البيت بتلمي

من هيك يمّي البعد منو مهم

بركة رضاكي وحدها مهمة

وكل ما عجز وعد التلاقي يتم

واشتقت من غمرك ع شي ضمة

بوعى بخبي صورتك بالكم

وبيصير قلبي يرقص بكمي

ورح ضل ابعتلك بعيد الام

دعوة بطول العمر والهمة

وانت ابعتيلي محرمة تا شم

ريحة بلادي بمحرمة امي[6]

النقد السياسي

من أجمل ما قيل عن سياسة الكيل بمكيالين التي ينتهجها الأميركان، ردة اشتُهِرَت بعد أن قام الأميركيون بأفظع مجزرة في التّاريخ، حين ألقوا القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما اليابانية في 6 آب/ أغسطس 1945، والتي أودت بحياة أكثر من ثمانين ألف ياباني، في حين أسّسوا من جانب آخر جمعيات الرّفق بالحيوان، التي راجت سوقها في لبنان والعالم. وقد قال فيها أديب حداد (وكنيته أبو ملحم)، وهو شاعر كان يتحسَّس الأحداث التاريخية ويعبر عنها بمفهوم شعبي بريء:

لا تِسألوا «شو صار» باليابان

وقدّيش قلّت قيمة الإنسان

بْيفتْكوا بالنّاس بالجملة

وبيبشّروا بالرفق بالحيوان

وفي الفترة ذاتها تقريبًا، أطلق الروس عربة فضائية إلى القمر، على متنها كلبة اسمعها «لايكا»، فقامت قيامة بعض الأوساط الإنسانية، ولا سيما الأميركية منها، إذ لا بد من أن يكون هلاكها [الكلبة لايكا] محتمًا من الخوف والوحدة على سطح القمر. وفي ذلك، أبيات للشاعر الزّجلي الجميل خليل روكز:

طلعة كلْب عالجو عملتْ مشكلهْ

ومن هون فرق العنصريّهْ بينجلي

هيروشيما دمرتها القنبلة

لا تظاهر العالم ولا ضَغطو عِلِي

الشعب «يؤلّف» تاريخه

«في لقاء لجمع من المثقفين، حاولوا أن يتذكروا متى هبط الأميركيون على سطح القمر، فعاجلهم أحد الحاضرين بقوله: «كان ذلك سنة 1969»، وأضاف أنّ الشّيخ علي الزين كان يؤرخ ما يحدث في كل سنة بردة من الزجل، وهو يقول عن سنة 1969:

«التسعة وستين». هالسّنة شحّ المطرْ

فقر وغلا. و»مالوش» بالحقلة انتشرْ

فيها اليهود جالوا وصالوا عالمطار

وفيها أميركا نجّست وجه القمرْ»

ووفقًا للرّاسي، يكون الشيخ علي الزين قد أرّخ لخمسة أحداث تتراوح شعبية ومحلية وعالمية وتاريخية معًا، وهي:

أولًا: حال المطر

ثانيًا: الفقر والغلاء

ثالثًا: انتشار «المالوش» في الحقول، وهو عبارة عن حشرة لئيمة تقضم جذور المزروعات،

رابعًا: الهجوم الإسرائيلي على مطار بيروت

خامسًا: هبوط «آرمسترونغ» الأميركي على سطح القمر.

وقد كان للدكتور أنيس فريحة رأي في ذلك، إذ خاطب سلام الراسي عندما نقل إليه هذه الردّة:

«اكتب، على مسؤوليتي، أنّ ناظم هذه الرّدة من الزّجل هو معلمنا جميعًا في كتابة التّاريخ».

الحب والمقاومة

الزّجل شعر مقاومة، وقد حضر في قصائد الشعراء الشعبيين الذين مجّدوا المقاومة، واعتبروا التّحرير من الاحتلال الإسرائيلي قيامة بعد الموت من جديد، وخاطبوا مقاوميه، وفي ذلك أبيات يهديها طليع حمدان لسناء محيدلي:

«يا مقاومة عا ترابنا جرْحك غلي

بالدّم لونتي الرّبيع المخملي

وإنسانك الغالي انفجر عالقنْبلي

وقِلتي لإسرائيل من هون ارحلي

إنتي اخترعتي قنبلة تفني البشر

نحنا اخترعنالك سناء محيدلي»

وللمقاومة يقول:

«يا مقاومة بدمّك كتبتي عالصخور

من الدّم يا حبر استحي فوق السّطور

ولمّا يفور الدّم ويبلّش يثور

تبقى يا بترول استحي حاجي تفور

طلْعِت قصور بشرقنا ونِزْلت قصور

وولّت عصور وبعدها طلّت عصور

ومجد العروبة عاد يخلق من جديد

بثورة مقاوم بين صيدا وبين صور»

كما يتناول في ردة أخرى قصف إسرائيل لجسر الأولي في لبنان خلال حرب تموز/ يوليو 2006:

كان الورد عم تنعس زرارو

بآخر ليل رح يطلع نهارو

قصف طيار من دوله عملية

طار حرامنا الغطّا زغارو

دمّر جسرنا بغابة ظليلة

ما دمر شعبنا الماكن عمارو

عا جسر الأولي بصيدا الجميلة

مرق جيش اليهودي بتقل عارو

لما دمّرو بضربة تقيلة

صار الجسر مبسوط بدمارو

تيْنّظّف من دَنَس هالإسرائيلي

وقَع بالنّهر تَا يغَسّل حجارو

تخلد أيضًا هذا النّضال.

طليع حمدان ورفاقه من الشّعراء الزّجليين، لم ينسوا قصص حب المناضلين[7]، ولا الشهداء الذين ناضلوا من أجل الوطن وافتدوه بدمائهم. ننقل عن ذلك أبياتًا للسيد محمد المصطفى:

مجدك جبل عامل بهالتاريخ زيد

تا يعود يخضر الأمان بربوعنا

ونْشوف مطلع شمسنا وهلال عيد

يسْطَع علينا تا يشع وجودنا

وكلّ نقطة دم نزلت من شهيد

انْكَتبِت على صخرة خلودك يا جنوب

حتّى حَمَينا بدمانا حدودنا

الزّجل ذاكرة للوطن

لو أمعَنّا في البحث، لوجدنا أنّ الزّجل حفظ أبرز المحطات والأحداث في تاريخ لبنان، كما تطرق أيضًا إلى بعض الأحداث الخاصة التي شهدها النّاس في قراهم ومجتمعاتهم، وهو، كشعر شعبي، يُشهَد له بحسن الذائقة والمعاني، ويُشهَد «لقوّاليه» بأنّهم شعراء، يَصدُق فيهم قول الشاعر الزجلي خليل روكز:
إذا الشاعر ما بيهِز المشاعر

ضروري نسمع الأخرس بدالو.

ولكن يبقى هناك حائل بينه وبين التشكيل النّهائي لذاكرة البلاد، ألا وهو انعدام التّنظيم الذي يتعرض له، فغالبية الأعمال الشعرية الزّجلية يتم تنظيمها في دواوين خاصة، وغالبًا ما ينشرها الشعراء على حسابهم، الأمر الذي يضر بالموضوعات وبعمليات التوثيق والبحث في آن معًا.

وإذا ما أراد أحدهم البحث عن موضوع ما، على نسق الموضوعات الواردة في سياق هذا المقال، لوجد الكثير من العوائق، أولها غياب التبويب الموضوعي والفهرسة، وهو ما يُضر بهذا التراث. لذلك، من الحري بالقائمين على هذا المجال في لبنان، العمل على فهرسته وتنظيمه، ليُصار إلى الإفادة منه، سواء في توثيق الذاكرة الوطنية للبلاد (من خلال فهرسة الأعمال التي تتعرض للأحداث التاريخية والمواقف الوطنية) أو الموضوعات العامة، وهو إن كان ارتجاليًا وعفويًا في طبيعته، إلا أنه بحاجة إلى الكثير من التّخطيط، الأمر الذي يجب تشجيع المهتمين على العمل عليه، حفاظًا على هذا الإرث الوطني.

المراجع:

1. سلام الراسي، "الحبل عالجرار"، دار نوفل، الطبعة الثالثة، 2005، ص 13.
2. جبران خليل جبران، المواكب، دار نظير عبود، الطبعة السادسة، شباط 2000، ص 46.
3. المصدر نفسه، ص 68.
4. سحر نصر ضو، "مسيرة الزّجل اللّبناني: طليع حمدان أنموذجًا"، الطبعة الأولى، 2015، ص 35.
5. سلام الراسي، "الحبل عالجرار"، ص 79.
6. موسى زغيب، قصيدة "باعت الك مكتوب يا أمي"، انظر: https://www.youtube.com/watch?v=Ein0zofrGP0
7. طليع حمدان، قصيدة "مقاوم حب بالصدفة صبية"، انظر : https://www.youtube.com/watch?v=_ohRYhjuuqg

غنى مونّس: باحثة ومترجمة وأستاذة جامعية من لبنان، تعمل أيضًا في مجال الصّحافة الإلكترونية. تعدّ رسالة ماجستير في الإعلام والتواصل في الجامعة اليسوعيّة في بيروت.

للتواصل عبر الإيميل: ghina.mouaness@gmail.com

المجلدات الستة الأولى من «أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية 1820 - 1942م»

متابعات

مركز «أوال» يعلن إطلاق ستّة مجلدات من أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية

نظَّم مركز أوال للدّراسات والتّوثيق ندوة في الدورة الـ 61 من معرض بيروت العربي الدّولي للكتاب، تحت عنوان «الممالك الخليجية في الأرشيف البريطاني خلال القرن التاسع عشر والعشرين»، لمناسبة الإعلان عن الإطلاق المرتقب في شباط/ فبراير 2018، للمجلدات الستة الأولى من أرشيف البحرين في الوثائق البريطانية، التي تغطي الفترة الممتدة من العام 1820 حتى العام 1942، أي ما يقارب 120 عامًا من تاريخ البحرين في الوثائق البريطانية.

وتحدَّث مدير المنظّمة العربية للترجمة، الدكتور الناهي، في الندوة عن أهمية الوثائق والأرشيف، لافتًا إلى الصعوبة التي واجهها مركز أوال على مستوى التقنية في ترجمة هذه الوثائق، نظرًا إلى غياب قارئ إلكتروني OCR، يُمكّن الفريق العامل من قراءة الكلمات المكتوبة بشكل صحيح، كما أنّ النصوص الواردة تخللتها مفردات «شكسبيرية» لا تُدَرّس حاليًا، فكانت الحاجة إلى العودة إلى جذور هذه المفردات لاستنباط معانيها.

ووصف الناهي تجربة المركز بأنّها أكبر من أن تكون حربًا عالمية في عملية تنوير اللّغة ووضعها في سياقها التّاريخي، بحيث نتمكّن من نقلها بشكل دقيق. وقال: «هذه الوثائق تحمل أنثروبولوجيا حضارية جميلة تعطي تلك الفكرة النّاصعة التي تنطبع على تلك المنطقة بالبعد التاريخي والحضاري والقبلي».

من جانبه، تطرق الأستاذ المحاضر في مجال العلاقات السّياسية في الجامعة اليسوعية، الدكتور جمال واكيم، إلى مخاطر عدم وجود وثائق متداولة بين أيدينا كعرب عند سعينا إلى كتابة تاريخنا، لافتًا إلى أن غياب الوثيقة يجعلنا نستند في دراسة التّاريخ إلى تدوينات ومذكرات شخصية وأخبار شفهية، أي نخضع للأهواء، الأمر الذي يؤثر في الحقيقة، لأنّ التاريخ لا يشكل فقط الهوية، بل منظومة التّفكير في المجتمع.

وأشار إلى أنّ تاريخ منطقة الخليج عمومًا، والبحرين خصوصًا، هو من التواريخ المظلومة في العالم العربي، وأن المشكلة الأخطر تكمن في غياب وثائق كانت مُتاحة للباحث الغربي، متسائلًا عن سبب عدم إتاحتها للجمهور العربي، فالقوة

لا تكمن فقط في المعرفة، بل في الوعي أيضًا، وبالتّالي، كي لا يعي هذا الجمهور تاريخه، وكي لا يتمكن من صوغ حاضره ومستقبله، كان لا بد للأنظمة من تغييب هذه الوثائق.

وقال واكيم: «لفهم حالة استئثار عائلة ذات تاريخ بدوي مثل آل خليفة، الذين هم جزء من قبيلة العتوب، بالسّلطة، يجب أن نعود إلى هذه الوثائق التي تبيِّن أن استئثار قبيلة العتوب بالحكم كان بالدعم البريطاني الذي حلّ لعنة على منطقة الخليج».

وتحدث في النّدوة أيضًا الكاتب والباحث البحريني الدكتور علي الديري من منفاه في كندا (الحكومة البحرينية أسقطت جنسيته في كانون الثاني/ يناير 2015)، فاعتذر بادئ الأمر عن غيابه بسبب «الظروف التي تفسرها هذه الوثائق»، مشيرًا إلى أنّ «هذه الظّروف شكّلت هويتنا وتاريخنا ومستقبلنا كبحرينيين»، وإلى وجود عدد من المفارقات منها عدم إمكانية إقامة مثل هذه النّدوة في البحرين أو في أي دولة خليجية أخرى، «فالأحداث الواردة في هذا الأرشيف ما زالت ماثلة أمامنا اليوم، ولا تريد الأنظمة مواجهتها».

وأكّد الديري أنَّ تداول هذه الوثائق محظور في البحرين، وأنَّ أصحاب الأبحاث التي كُتِبَت في القرن العشرين اضطروا إلى الاجتزاء وتحوير الحقائق انحناء أمام رغبة السلطة السياسية التي لا ترغب في إبراز هذا التاريخ على حقيقته، مشيرًا إلى أنّ بريطانيا ستشهد حفل إطلاق هذه الوثائق في شباط/ فبراير من العام المقبل، على الرّغم من كونها الدّولة التي استعمرت هذه الجزر.

وأضاف: «نحن لا نترجم فقط الأرشيف، بل اللّحظة الآنية بكل ما أصبحنا عليه. أرشيف البحرين شكّل مفتاحًا أساسيًا لفهم اللحظة التاريخية التي شهدتها البلاد في 14 شباط/ فبراير 2011، سواء للحاضر أو للأجيال في المستقبل، فكان مركز أوال للدّراسات والتوثيق، وكانت ترجمة هذه الوثائق التي تحوي إجابة عميقة على التساؤلات حول ما حدث في البحرين خلال 120 عامًا، وحول علاقة تلك الأحداث بانتفاضة العام 2011».

وتخلل الندوة عرض تقرير مصوّر تناول «أوال»؛ الجزيرة القديمة التي تُعرف حاليًا باسم البحرين، وتطرق إلى الدّور الذي يؤديه مركز «أوال» في حفظ الذّاكرة البحرينية ومواكبة الأحداث المستجدة.

«أرشيفو» تنظّم لقاءها السنوي في معرض بيروت الدّولي للكتاب

عقد مركز أوال للدّراسات والتّوثيق لقاءه السنوي حول مجلة «أرشيفو» في جناحه في معرض بيروت العربي والدولي للكتاب.

بدايةً، رحَّبت أسرة أوال بالمشاركين، ثم ناقش الحضور المسار الذي سلكته المجلة على مدى عامين، والبصمة التي تركتها في هذا المجال، مستعرضين سبل تطوير آليات العمل فيها.

وأعلن المركز أنَّ العمل جارٍ على إطلاق مدونة أرشيفو في شباط/ فبراير 2018، وستضمّ هذه المدوّنة أكثر من مائة مقال في مختلف الأعداد، إضافةً إلى خاصيَّة البحث فيها. كما أعلن أيضًا إطلاق مجلة «وُرق» في العام 2018، وهي مجلة إلكترونية ستختصّ بكلّ ما هو جديد في عالم الثقافة والكتب والأفلام.

وقد أثنى المشاركون على مبادرات المركز، وطرحوا عددًا من الأفكار والمشاريع المستقبليَّة. والجدير ذكره، أن الحضور تنوَّع بين مختصّين في علم الأرشفة والمكتبات وباحثين وصحافيين.

أرشيف غابريال غارسيا ماركيز سيتوفّر مجانًا عبر الإنترنت!

نشرت جامعة تكساس الأميركيَّة نحو 27500 وثيقة مأخوذة من أرشيف الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز على شبكة الإنترنت، أي نصف ما تملكه تقريبًا، وهو يشمل مخطوطات، ورسائل، وصورًا مختلفة غير منشورة سابقًا، ودفاتر، وقصاصات ورق، وسيناريوهات.

وكان مركز «هاري رانسوم سنتر» للتوثيق الأدبي في جامعة تكساس اشترى بسعر 2,2 مليون دولار هذا الأرشيف في العام 2014 بعد أشهر على وفاة الكاتب. ويسمح محرّك بحث باللغتين الإنكليزية والإسبانية بالإبحار في هذا الأرشيف الذي يضمّ وثائق كثيرة غير منشورة والاطّلاع عليها مجانًا.

ومن بين هذه الوثائق، مخطوطات لعشرة كتب لماركيز، فضلًا عن نصّ من 32 صفحة من الجزء الأول من مذكراته الّتي لم تصدر أبدًا.

واستمرّت مهمّة رقمنة هذا الجزء من الأرشيف 18 شهرًا.

«الأرشيف المنسيّ» ندوةٌ في معرض الكتاب في الدوحة

أقام المنبر الفكريّ في معرض الدوحة الدولي للكتاب في دورته الثامنة والعشرين ندوة تحت عنوان «الأرشيف المنسي»، تناولت علاقة الأرشيف والوثائق العثمانية عند كتابة تاريخ الدول العربية، قدَّمها المؤرخ التونسي الدكتور عبد الجليل التميمي.

وأكَّد التميمي أهمية زخم الأرشيف العثماني، حيث يمتلك الأتراك وثائق ضخمة تبلغ حوالى 150 مليون وثيقة تتناول العديد من تاريخ البلدان العربية والأجنبية، وأنَّ نسبة 75 في المئة من هذا الأرشيف تخصّ المنطقة العربية، مشيرًا إلى أهمية هذا الأرشيف كوثائق ومراجع للمؤرخين العرب، لا يقلّ أهمية عن الأرشيف البريطاني أو الفرنسي.

وأضاف: «رغم وجود جهود عربيَّة لكشف أسرار هذه الوثائق والاستفادة منها، فإنها ما زالت ضئيلة، كما لا يوجد تنسيق عربيّ في هذا الشأن»، داعيًا الباحثين والمؤرخين إلى الاستفادة من هذه الوثائق التي تغطّي فترة تزيد على أربعة قرون من عمر المنطقة.

واستعرض التميمي تجربته الخاصّة مع الأرشيف العثماني، وجهوده في كشف المزيد من الوثائق عندما بدأ دراسته في الستينيات من القرن الماضي، وأصدر المجلة التاريخية المغاربية في العام 1974، ليقود عددًا من المؤتمرات الدولية في مطلع الثمانينيات حول التاريخ العثماني من مختلف الجوانب، وينشئ مؤسسة بحثية خاصة للبحث التاريخيّ، وبخاصة العثماني، فضلًا عن إصدار مجلات أخرى هي المجلة التاريخية للدراسات العثمانية منذ العام 1990 والمجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات منذ العام 1997.

مؤسَّسة أرشيف المغرب تتسلّم 22050 ملفًّا مؤرشفًا

نظَّم المجلس الوطني لحقوق الإنسان ومؤسَّسة أرشيف المغرب حفل تسليم أرشيف هيئة الإنصاف والمصالحة لمؤسَّسة أرشيف المغرب.

وأشار المجلس إلى أنه سيقوم بتسليم 17362 ملفًا تابعًا لهيئة الإنصاف والمصالحة لمؤسَّسة أرشيف المغرب، تم العمل على تصنيفها في 1239 علبة خاصَّة بالأرشفة والحفظ.

وذكر المجلس أنَّه سلَّم في 24 تموز/ يوليو 2017، ملفات هيئة التحكيم المستقلّة إلى المؤسَّسة ذاتها، ليبلغ بذلك مجموع الملفات التي سلَّمها المجلس الوطني لحقوق الإنسان لمؤسَّسة أرشيف المغرب 22050 ملفًا تمت أرشفتها في 1480 علبة للحفظ.

وستوضع هذه الوثائق تدريجيًا رهن تصرّف المؤرخين المغاربة والباحثين في مجال العلوم الإنسانية، لتعميق التحليل التاريخي لتطور مسار حقوق الإنسان في المغرب، واستخلاص الدروس والممارسات الفضلى من أجل تعزيز الديمقراطية ودولة الحق والقانون.

وسينظّم المجلس، لمناسبة الاحتفال باليوم العالمي لحقوق الإنسان، ندوة دولية حول الأرشيف وحقوق الإنسان بمشاركة خبراء من المغرب، فرنسا، السنغال، الكاميرون، البرازيل، ورواندا، ومختصّين في مجالات الأرشيف والتاريخ والعدالة الانتقالية وحقوق الإنسان.

وتهدف الندوة إلى تبادل الخبرات والممارسات الفضلى بين خبراء الأرشيف والمهنيين والباحثين والمدافعين عن حقوق الإنسان، ليتناولوا بالبحث طرق جمع الأرشيفات ومعالجتها وحفظها وتحليل دورها

الأساسي في تجارب العدالة الانتقالية وحماية حقوق الإنسان.

وستتركّز أشغال هذه الندوة الدولية حول محورين رئيسيين «الأرشيف، حقوق الإنسان والعدالة الانتقالية» و«الأرشيف، التاريخ وطرق الحفظ»، وستشكّل فرصة لاستعراض مختلف التجارب الدولية في هذا المجال وتناولها بمقاربة قائمة على المقارنة.

ملتقى حول أهميَّة الأرشيف السّمعي البصريّ في موريتانيا

انطلقت في موريتانيا مؤخرًا فعاليات ملتقى «الأرشيف السمعي البصري في موريتانيا: الواقع والآفاق»، الذي نظّمه مشروع حفظ الأرشيف السّمعي البصريّ التابع لوزارة العلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني.

ويسعى المشروع من خلال هذا الملتقى إلى توعية الرأي العام بالحالة العامة لواقع الأرشيف السمعي البصري، ودراسة الوسائل والسبل الكفيلة بحفظه على الوجه الأكمل، وذلك بالتشاور مع مختلف الفاعلين العموميين والخصوصيين والمهنيين والعاملين في حقل الاتصال السمعي البصري والشخصيات المرجعية ذات الصلة بالموضوع والشركاء في التنمية.

وأكدت وزيرة العلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني، آوا الشيخ سيديا تانديا، أنَّ هذا المشروع يشكل تحديًا كبيرًا بالنسبة إلى موريتانيا والعديد من الدول الأخرى، لأهمية التراث السمعي البصري في المحافظة على الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية.

وأضافت أنَّ قطاعها قام بخلق آلية لهذا الغرض، من خلال هذا المشروع المعني بحماية الأرشيف السمعي البصري، لافتةً إلى أنَّ الملتقى يسعى إلى تشخيص واقع الأرشيف السمعي البصري على مستوى القطاع، والبت في طبيعة التحديات المؤسسية والمهنية والفنية، من أجل مواكبة رقمنة الأرشيف وتحديد الاختيارات الاستراتيجية والتخطيط لآلية التدخل.

بدوره، أوضح منسّق المشروع، السيد محمد عبد الله ولد إمام، الأهمية القصوى لحفظ التراث السمعي البصري، مؤكدًا أن تيسير النفاذ إليه واحد من أهم رهانات الثقافة، وأن قانون تحرير الفضاء السمعي البصري نصَّ في مادته الثالثة على وجوب محافظة الدولة على الذاكرة السمعية البصرية، وإنشاء مؤسَّسات مكلّفة بصون هذا التراث.

وقال إنَّ الأهداف المرجوّة من هذا المشروع تتمثّل في حفظ التراث السمعي البصري وفق تقنيات آمنة وحديثة، وتوفيره بشكل قابل للنشر عند الحاجة، وتحديد آلية تنظّم العلاقة بين مشروع حفظ الأرشيف السمعي البصري والمؤسسات الوطنية ذات الصلة بحفظ الأرشيف السمعي البصري الوطني، إضافةً إلى تشخيص الحالة العامة له، وتحديد طرق البحث عنه وجمعه، وتحويله من الوسائل التماثلية إلى الرقمية، ووضع خطّة عمل على المدى القصير والطويل لإنجاز ما هو مستعجل وممكن بحسب الوسائل.

وستُقدم، خلال هذا الملتقى، عروض حول حالة حفظ الأرشيف على مستوى قناة الموريتانية وإذاعة موريتانيا، وآلية حفظ الأرشيف السمعي البصري في مديرية الأرشيف الوطني، وتجربة دار السينمائيين ووكالة ترقية السينما، وأفضل المقاربات لجمع معالجة الأرشيف السمعي البصري ورقمنته وحفظه، إضافة إلى نقاشات مستفيضة، وتشكيل مجموعات عمل، وتقديم صياغات يتم من خلالها تقديم تقارير وتوصيات.

انطلاق مؤتمر الأرشفة الإلكترونيَّة والتخزين السّحابي في الكويت

افتتح مدير عام الجهاز المركزي لتكنولوجيا المعلومات في دولة الكويت، المهندس قصي الشطي، مؤتمر الكويت للأرشفة الإلكترونية

والحوسبة السحابية، الذي يقام بدعم من الجهاز، لمدة يومين، وتنظمه بروميديا العالمية للعام السابع على التوالي.

وأوضحت اللجنة المنظمة أنَّ هذا الحدث يُعد من أهم الموضوعات المطروحة في الساحة، مشيرةً إلى أن التخزين السحابي وأرشفة الوثائق باتا أمرًا حتميًا في العديد من الأعمال، وعلى صعيد الأنشطة والقطاعات الكبرى كافة، سواء الحكومية أو الخاصة، وعلى مستوى الأفراد والأعمال ذات الطابع المتوسط والصغير.

وقال رئيس اللجنة المنظمة في بروميديا العالمية، جمال عمران، إن الهدف من إقامة هذا المؤتمر هو استعراض كل ما هو جديد في عالم تكنولوجيا الأرشفة الإلكترونية والتخزين السحابي، مشيرًا إلى أن برنامج المؤتمر متنوع، وتحاضر فيه نخبة مميزة من أكبر الخبراء من المتحدثين من الدول العربية والغربية والأوروبية، إضافةً إلى البلد المضيف الكويت.

وأضاف أنَّ التطور الكبير الذي شهده التوسع في الأعمال وعولمة الشركات والمنظمات الكبرى، وبخاصة الاقتصادية، مع التزايد المستمر في حجم المؤسَّسات وما تملكها من مستندات ووثائق كبيرة في شتى المجالات، ورغبة هذه المؤسَّسات في تنظيم بياناتها بطرق آلية حديثة، أظهر الحاجة إلى وجود نظام متكامل يتولى القيام بجميع العمليات الخاصة بالتعامل مع الوثائق آليًا، من مثل الأرشفة والفهرسة والتلخيص والبحث والاسترجاع.

وأشاد عمران بجهود الجهاز المركزي لدعم تلك الأحداث التي تفيد المجتمع الإلكتروني وتحفز على الارتقاء باستخدامات التكنولوجيا، مشيرًا إلى أن المعرض المصاحب للمؤتمر يقدم للجمهور الزائر آخر ما توصلت آلية برامج وخدمات الأرشفة الإلكترونية والحوسبة السحابية.

ولفت إلى أن التكنولوجيا الرقمية قد غيرت من المفهوم التقليدي لحفظ الوثائق من التلف إلى خلق هذه الوثائق من جديد إلكترونيًا، من خلال مسحها ضوئيًا أو تصويرها وخزنها في ذاكرة رقمية، مع المحافظة على صحة هذه الوثائق وسلامتها، وسهولة الحصول عليها واسترجاعها على الفور من قبل المستخدمين.

السّينما اللبنانيّة بين دفّتيْ كتاب

أطلقت «سينما أمبير» و«منشورات راوية» في لبنان كتاب «سينما في لبنان»، للفرنسي رافاييل ميليه، وذلك في «متروبوليس أمبير صوفيل»، بحضور شخصيات معروفة في السينما المحلية، من مثل فيليب عرقتنجي، مي المصري، منير معاصري، بهيج حجيج، سيمون الهبر، غسان سلهب، وأكرم زعتري...

يروي الكتاب الثنائي اللغة الذي قدّم له وليد شميط، تاريخًا سينمائيًا مضطربًا بدءًا من العام 1897 حتى العام 2015، ويقدم بحثًا معمّقًا مدعومًا بمختارات أيقونية، و11 مقابلة حصرية مع شخصيات رئيسية في صناعة الفن السابع المحلي.

مخطوطات نادرة في مكتبة قطر الوطنيَّة

دشَّنت المكتبة التراثية التابعة لمكتبة قطر الوطنية معرضًا لمجموعة من المخطوطات والكتب والوثائق النادرة تتناول تاريخ قطر ومختلف جوانب الحياة فيها.

واحتضن المعرض خريطة تاريخية لقطر ترجع إلى العام 1482 ميلادية، كُتب فيها اسمها بالحروف اللاتينية «Catara»، وكتاب «سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد» للعلامة عثمان بن سند البصري، الذي يسلّط الضوء على عصر أحمد بن رزق، التاجر الشهير الذي عاش في الزبارة...

وأوضحت عائشة حسن الأنصاري، رئيس قسم المكتبة التراثية في مكتبة

قطر الوطنية، أنَّ المعرض يهدف إلى تعريف المجتمع بالمصادر الغنية عن تاريخ قطر وماضيها.

وأضافت: «تتميَّز المكتبة التراثيَّة بمصادر غنيَّة وفريدة تتناول تاريخ قطر في الكتب العامة وكتب الرحالة والمستكشفين، وفي الخرائط والصور التاريخية والجرائد والمجلات والرسائل والسجلات، حيث نستعرض في هذا المعرض، ولأول مرة، مقتنياتنا من الصور التاريخية التي تتكلَّم عن مختلف جوانب الحياة في قطر، كصور الحكام، وصور للحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية والفنية، وسجلات، ومراسلات.. أثرَت الحياة الثقافية والعلمية، وكذلك كتب ومراسلات لشخصيات قطرية لها دورها البارز في المجتمع».

وأشارت إلى أنَّ المكتبة التراثية بشكل عام تحتوي مجموعة واسعة من أوائل الكتب المطبوعة باللغة العربيَّة واللغات الأوروبيَّة، ومخطوطات، وخرائط، وصور تاريخيَّة، ومجموعات أرشيفية، وكتابات للرحالة الذين زاروا منطقة الخليج على مدى القرون.

مصر: افتتاح مكتبة أثريَّة تحوي مخطوطات دينيّة مخفيّة

أعادت مصر افتتاح مكتبة قديمة بعد ثلاث سنوات من ترميم المبنى الذي يحوي بعضًا من أقدم المخطوطات في العالم. ويعدّ دير سانت كاثرين الواقع في جنوب سيناء، ثاني أكبر مكتبة في العالم، ويحوي نسخة مكتوبة بخط اليد من العهد الجديد. وتضمّ الكنيسة التي تعود إلى القرن السادس آلاف الكتب القديمة والمخطوطات (عمرها أكثر من 700 سنة).

وفي هذا الصَّدد، قال مونك داميانوس، رئيس أساقفة الدير، إنَّ الجانب الشرقي من المكتبة التي كانت قيد التجديد مؤخرًا، يضمّ ثاني أكبر مجموعة في العالم من المخطوطات القديمة، إذ تأتي مكتبة الفاتيكان في المرتبة الأولى.

وقال طوني كازامياس، مستشار رئيس الأساقفة، إنَّ المكتبة مفتوحة الآن للجمهور والعلماء، وإنَّ أعمال الترميم ما تزال جارية من دون تحديد تاريخ الانتهاء.

ويحتوي الدير أعمالًا بلغات مختلفة (اليونانية والعربية والسريانية والجورجية والسلافية)، تشمل الكتاب المقدس القديم. كما توجد فيه الوصفات الخفية منذ فترة طويلة لأبقراط.

ويقول القسّ جوستين، وهو راهب أميركي يعمل في مكتبة الدير: «المخطوطة الأكثر قيمة في المكتبة، هي دستور أو مخطوطة سينائية تعود إلى القرن الرابع عشر». كما تحوي المكتبة بعضًا اللوحات القديمة التي يتم عرضها حاليًا في متحف الدير.

وفي وقتٍ سابق من هذا العام، تم الكشف عن الأعمال القديمة المخبأة تحت الكتب المقدسة في الدير، باستخدام تكنولوجيا التصوير المقطعي. ووجد الباحثون سلسلة من النصوص المفقودة باستخدام طريقة تسمح لهم باستعادة الوثائق القديمة التي كُتبت منذ فترة طويلة.

دير سانت كاثرين في جنوب سيناء

أرشيفو
ARCHIVO

نشـرة تهتم بموضوعات الأرشـيف تصدر عن
مركـــز أوال للـدراســـات والتوثيـــق

ISSN 2414 - 5386

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION
info@awalcentre.com | www.awalcentre.com
awalcentre